السنة التاسعة   العدد ١٩   ١ تشرين الاول سنة ١٩٠٦

المشرق

يعقوب السروجي

لحضرة الخوري الفاضل بطرس عزيز الكلداني النائب البطريركي في حلب

قد احرزت آداب اللغة الارامية اي السريانية الكلدانية كتابًا جديدًا جليلًا بهمة الاب الغيور المفضال الاب بولس بيجان العازاري الكلداني وهو منتخبات ميامر يعقوب السروجي (١

وقبل ان نعرّف به قرّاء المشرق لا نتمالك من انتهاز الفرصة للثناء على الاب المذكور الذي منذ عشرين سنة بنيّف لم يزل يغني مكاتبنا بمثل هذه التآليف النفيسة التي يحيي بها آثار آبائنا الدارسة ويبرزها من زوايا المتاحف الاوروبية بعناء ونصب كادا مرارًا كثيرةً ان يذهبا بصحتهِ وبصرهِ . فلو اردنا ان نذكر اسماء الكتب التي نشرها حتى الآن لطال بنا المقام وهي بين صغير وكبير ما ينيف على الخمسة والثلاثين كتابًا قصد بها اثابهُ الله فائدة لبني جلدتهِ في العلم والآداب والدين . وقد سبق لنا في المشرق الاغرّ ذكر بعض من هذه الكتب واليوم مدارُ كلامنا على آخر كتاب نشرهُ في مجلدين واودعهُ من قلم ذاك الشاعر المفلق ما رآه مطابقًا لغايتهِ فجاء محتويًا على سبعين ميمرًا نُشرت لاوَّل مرَّة . هذا ما خلا التسعة عشر ميمرًا التي كان قد نشرها في كتبهِ السابقة

ولد يعقوب في قرطام بلدة على الفرات من اعمال سروج سنة ٤٥١ للميلاد وبعد

---

١) وهذا عنوانهُ باللاتينيَّة : Homiliæ selectæ Mar-Jacobi Sarugensis, edidit Paulus Bedjan Cong. Miss. Lazarista. T. I et II. Parisiis: via dicta de Sèvres

ان تلقّن الدروس في مكتب الرها الشهير سُتي خورفسقفًا على حورا في ابرشية سروج. وفي الثامنة والستين من عمرهِ سنة ٥١٩ رُسم اسقفًا على هذه الابرشيَّة وكان كرسيها الاسقفي في بطنان ولم يلبث في الاسقفية غير سنتين ومات سنة ٥٢١ وقد ابقى لنا القدماء ثلاث تراجم لهذا الكاتب منها واحدة بقلم يعقوب الرهاوي

درس يعقوب في الرها على ايبيا الشهير في تاريخ النسطرة لكنهُ لم يوافقهُ في بدعتهِ حتى اننا نراه في حياته كلها يحارب اصحاب الطبيعتين

اختلف العلماء في مذهب يعقوب فمنهم من اثبت كثلكتهُ كالعلّامة السمعاني بين القدماء وأبلوس (Abbeloos) بين المعاصرين اما اليوم فقد تحقق انهُ كان يقول بالطبيعة الواحدة مخالفًا للمجمع الخلقيدوني ولا احد يشكُّ بعد في صحة قول ابن العبري ان ساويرس الانطاكي اليعقوبي استحسن تعليم يعقوب وأيَّدهُ. الّا انك لا تكاد تستنشق ذلك من ميامرهِ لانهُ ما عدا ميمرهُ في دحض المجمع الخلقيدوني الذي ثبت اليوم انهُ من قلمهِ لم يصرّح برأيهِ البتة وهذا الذي اوقع الريب في الحامين عن كثلكتهِ ولكن بعد اكتشاف مراسلته مع رهبان دير مار باسوس المراطقة توضح انهُ كان مصادقًا على دستور الملك زينون المدعو بالهينوتيك (Hénotique) وانهُ كان يقول بالطبيعة الواحدة. وكان يعقوب في عدد الاساقفة الذين رسموا يوحنا اسقف تلّا الشهير في تعصبهِ في اليعقوبية في عهد يوستين الملك فان كان لم يُضطهد كاقرانهِ فيلوكسين اسقف منبج وبولس اسقف الرها فما ذاك الّا لان يعقوب قضى حياتهُ في الدرس بعيدًا عن المجادلات والمنازعات التي كانت يومئذٍ تشغل المسيحيين الشرقيين الّا انهُ كان يكتب ويعزّي المنكوبين بسبب المنوفيسيَّة وينهض شجاعتهم للمحاماة عن هذا المذهب كما صنع مع بولس اسقف الرها الذي نُفي الى سلوقية وغيره

ترك يعقوب مؤلَّفات كثيرة في الشعر والنثر اما في النثر فلهُ رسائل عديدة وقد سبق لنا ذكر رسائله اللاهوتية الى رهبان دير مار باسوس التي نشرها الاب مارتان (P. Martin) ونشر شروتر (Schröter) رسالةً اخرى موجهة الى المسيحيين في نجران يعزّيهم فيها عن المحن التي اصابتهم على يد ذي نؤاس ونشر الاب بيجان رسالة لهُ الى اهل ارزون في بلاد فارس يدحض فيها النسطرة (١ ولهُ رسائل الى اهل الرها

١) طالع كتاب سهدونا وجه ٦٠٥

والى بولس اسقف هذه المدينة واخرى الى اسطيفان صودّيلي وغير هذه كثير لم يُنشر بعد بالطبع — ثانياً لهُ ليتورجية ورتبة عماد وستة خطب في الاعياد ومواعظ على الخطايا وعلى الجمعة من الاسبوع الثالث للصوم وعلى الفصح وتأبين وسيرة حياة مار حنينا

غير ان يعقوب اشتهر على الاخص بالشعر والحق يقال انهُ جاد فيهِ ونبغ وشعره سلس ولهُ تفننات مبتكرة وتصورات بديعة وعواطف تأخذ بمجامع القلب مع مسحة تقوى تؤثّر في القاري وتحملهُ على الزهد والتنسُّك بخوف الله وشعائر الدين وبحق لقّبهُ قدماء بني ملّتهِ بمزمار الروح القدس وقيثار الكنيسة هذا فضلاً عن طلاوة انشائهِ وفصاحة لغتهِ

ذكر ابن العبري ان ميامر يعقوب الشعرية كانت سبعمائة وسبعين وان سبعين ناسخاً كانوا ينسخونها . لكن لسوء الحظ لم يصل الينا الّا دون النصف منها . فمن هذا قد انتخب الاب بيجان الميامر التي اتحفنا بها وموضوعها اسرار الديانة وشرح آيات خصوصية وحوادث من الكتاب المقدس وبعض الفضائل والرذائل ومديح المسيح وامهِ العذراء والرسل والشهداء والقديسين وعن الموتى والدينونة وخُصّ بالذكر ميمرهُ الطويل الفاخر في آلام المسيح الذي يستغرق ١٦٠ صحيفة وهو متمّم لكل يوم من ايام اسبوع الآلام وفيهِ من بديع المعاني ما يذهل القاري

وما يستحق الذكر في هذه الميامر فهو انك تجد هـذا الكاتب المبرّز والشاعر المفلق في نهاية الجيل الخامس وابتداء السادس يثبت عين التعليم والاعتقاد والآداب والتقوى والتهذيب الذي يُشاهد اليوم في الكنيسة الرومانيّة ما خلا مذهبهُ في الطبيعة الواحدة . من ذلك الصلوة عن الموتى وتقديم القرابين والاسعافات لاجلهم واكرام ذخائر الشهداء وحضور المسيح في الافخارستيا والاستحالة وذبيحة القداس والمناولة الفصحية وبثق الروح القدس من الآب والابن وزناسة الرسول بطرس وامتيازاته

وقبل ان نأتي الى ذكر ذلك لا بدَّ ان نورد نموذجاً على طلاوة شعرهِ ونحن نتأسف على ان الترجمة العربية لا تؤدي حق العبارة الاصلية ولا تفي بالمرام

قال في ميمرهِ على الشهداء (المجلد ٢ وجه ٦٣٨) : « النار تمحص الذهب ان كان صافياً والموت بالعذاب يمتحن الحب اذا كان مخلصاً . فان لم يدخل الذهب النار ويذوب لا يتصور فيهِ شكل الملك وان لم يقترب الانسان الى العذاب حتى الدم لا

يتصور فيه شكل الحب الالهي . فلكم يُطرَق الذهب على السندان حتى يُحلّى بـه التاج فعلى هذا النسق لبس الشهداء بالضربات رونقاً وهم الآن مُرَصّعون بتاج الملك. لم يكن لهم المضطهدون الّا صاغة ماهرين صاغوهم بالآلام وصدوهم في الملكوت».

وبعد ان ذكر انهم كانوا يحتملون بدون تذمر قال: «من شأن الحب ان لا يتشكى اذا احتُقر فانهُ مكتوب انهُ يحتمل كل شيء ويصبر على كل شيء . ان عنقود الحياة الذي عصرهُ اليهود بالرمح اسكر بخمره الشهداء فنسوا ضيقاتهم. شربوا مليّاً من مسكر الصليب فلم يشعروا بالنار . تعلموا من ربهم ان يتشبهوا بالحية والحمام . الحمام وديع فلا يحقد على من يسلبهُ فراخهُ بل يقيم مكانهُ بين ظهراني سالبيهِ بلا غضب. والشهداء تُسلب اموالهم وهم ممتلئون سلاماً يميت الحكام اولادهم ولا يتشكون . تشبهوا بالحية عند ما ساقوهم الى الذبح فان الحية فطنة اذا اوشك ان يُمسك ذنبها اخفت رأسها واسلمت سائر جسمها للضرب . رأس النفس هو الايمان وعليهِ كان يحافظ الشهداء فيسلمون اعضاءهم للضرب والقطع صوناً للايمان . اذا فسد الايمان فقدت الحياة . كان يشعر الشهداء بحياة الآخرة فلا يشق عليهم ان يبذلوا حياتهم في وسط العذاب نظروا خفيًا الى تلك الحياة السعيدة فكرهوا حياة الدنيا وملذاتها ومن احتمالهم تعلّمت الارض ان لله عالماً آخر اعظم من هذا. احتملوا بين الوثنيين حتى علم الوثنيون انهُ يوجد شيء خفي لم يحسُّوا بهِ واخذوا يفكرون في انهُ لو لم يوجد عالم آخر لما ازدرى الناس بحياتهم . فكأني بهم يقولون : من هو هذا يسوع الذي من اجلهِ يموتون ولماذا يتخرون باسمهِ وهم يُقتلون . كيف يعترفون بهِ حتى الدم ويحتملون العذاب ولا ينكرونهُ . تراهم يقرّون انهُ صُلب وكيف لا يخجلون ان يسجدوا لـهُ فان كان انساناً مثخناً آلاماً فما بالهم يعبدونهُ وان كان ليس حيًّا كيف يموتون من اجلهِ . فيا للقوة العظمى ان الذي صلبهُ اليهود يسبي بحبهِ البشر فينحازون اليهِ فحقّاً اما انهُ اله او ابن الله وفيهِ قوة تدفع البشر الى الايمان بهِ . هذا ما كان يقولهُ الوثنيون اذ يرون احتمال الشهداء ولهذا دعوهم شهداء الصليب . ومن آلامهم تحقق العالم صحة الدين المسيحي. كتبوا ايمان ابن الله بدمهم وبموتهم اضحوا معلمي الحق»

وفي الميمر على العناية وجه ٦٢٧ قال : «تحتاج الخليقة الى الخالق كما يحتاج الطفل الى امهِ فلو تركتهُ امهُ لكان اولى بها ان لا تلدهُ . ورب العالم اذا تركهُ بعد ان

خلقهُ لكان احرى بهِ ان لا يخلقهُ .» ثم يذكر كيف انهُ تعالى يدبّر العالم بجودهِ وعدلهِ: «حيث يرى الشر يضحي غيورًا وحيث يرى تواضعًا صار حليمًا . لو لم يبغض الاشرار لم يكن عادلًا وان لم يترحَّم على الابرار لا يكون حليمًا . ربما رأى الشر وصبر كأنهُ لم يره بل نجحه ولم يقاصّه وربما رأى الشر وحالًا ايقظ غضبه . من الناس من يقضي حياته بالخطأ ولا يصيبه تأديب وغيره اذا افتكر فقط ان يصنع الشر ادركته العدالة . في مكان يظلم عبيده ولا يخلصهم وفي مكان آخر اذا احتُقر احد من الابرار انتقم لهُ . حور الصديق رجمهُ الشعب صانع العجل ولم يسأل احد لماذا رُجم ومريم اخت موسى على انها تلفَّظت بكلمة لبسها البرص . نُشر اشعيا ولم ينتقم لهُ ربه وحيث رُذل لوط الصديق احرق بلادًا . فتارةً ينتقم وطورًا يهمل فرب مشكّك يسأل لماذا سير العناية ليس واحدًا : ايها الطين لماذا تتجاسر ان تقول للفاخوري ماذا يجب ان يعمل وماذا يجب ان لا يعمل ؟ » فيجاوب على ذلك الاعتراض : « ان حكمة الله ظاهرة في المخلوقات فبهذه المعرفة التي صاغت الشمس وكوّنت القمر يدبّر العالم فسواء انتقم او اهمل فهي حكمة منهُ والغاية واحدة وهي افادة الانسان . فقد يهمل هنا الانتقام ليُعرَف ان لهُ عالمًا آخر ينتقم فيهِ من الاشرار فلو بقيت جميع الاعمال بلا انتقام مَن يتحقق ان الله يحاسب ؟ ولو حُوسب على كل عمل يُصنع هنا لكان يُظن انهُ لا يوجد عالم آخر . . . ولو كان الله يخلّص جميع عبيده من الاذى لما استحقت محبتهم المديح فلا يبقى سبيل للاحتمال من اجلهِ وهذا مما يخلّ بمجد عبيده ولو لم يخلّص احدًا منهم لقال الكفرة انهُ لا وجود لهُ والّا لمَا اهمل احبآءه . فحيث يتركهم يحترقون يعظم حبهم وحيث ينتقم لهم ينتصر هو وهكذا يتمجّد هو وعبيده . تعترض ايضًا على الغنى والفقر ولو امكنك لاخذتَ من هذا واعطيتَ لذاك اذ تقول : لماذا جاد الله على الواحد بالذهب والآخر خالٍ من القوت اليومي ؟ . يا ناقص العقل يا من خفي عنهُ التدبير لا تتذمر على من هو الجودة بالذات الذي خلق الغنى والفقر بالاثنين يقدر ان يحيي من يصبر . هوذا بالفقر العازر في حضن ابراهيم وبالغنى ابراهيم في الملكوت فالاثنان في محل واحد جليل لم يُبطر الغنى ابراهيم حتى يميله الى الشر ولا ذاك عاقهُ فقرهُ عن الخير . كما ان اليد اليمنى واليسرى تنفعان الجسد الواحد وتتعاونان هكذا الغني والفقير في العالم . خلق الغني ليترحّم ويعتني بالمسكين وخلق الفقير ليشتغل بلا تذمُّر في بيت الغني ولولا الفقر

لما باح بنفسه واشتغل . . . فلا يتكبّر الغني ويحسب الفقير من غير جنسه بل هو من طينه ولحمه ودمه وعضو من جسده فمن يرى اعضاءهُ عارية ولا يكسوها ؟ . . ولا تحسبنَّ ايها الغني ان الله احبّك فاغناك وذاك ابغضه فخلقهُ فقيرًا نعم اعطاك ثروةً لكن لم يخلق لك عضوًا زائدًا . فما هو خارج عنك ليس لك . . . الله عادل ساوى البشر بالاعضاء والصورة في الرحم وفي القبر بالولادة والموت فلا تميز بينهم . ساواهم في ما هو ضروري واما بالاعراض فزاد لهذا ونقص من ذاك . يحسد الجاهل الغني على ان فراشه عالٍ ومزين ولا يفطن ان الله وزّع النوم بالعدل ليس الفراش يريح الجسم بل النوم وهذا اعطاه للغني والفقير بل اعطاه للفقير اكثر فان ثروة الغني تذهب بنومه ولا يقوم الفراش مقام النوم . ينام الفقير وان كان فراشه بسيطًا ولا ينام الغني مهما كان فراشه ثمينًا . ليعلم الغني ان الله اقامه قهرمانًا لقريبه وسيعطي حسابًا كيف وزّع امواله لرفاقه فان لم يَرحم لن يُرحم هناك . ويشهد بذلك قول ابراهيم فاذا تمتع وحده بخيراته فلسوف يطلب نقطة ماء ولا يُعطى . . . ارحم ابن جنسك لانهُ اخوك والّا فاحترم على الاقل صورة ربك فيه ووقّر شخص المسيح فقد لبسه واياك في المعمودية »

تأتي الآن الى الشواهد اللاهوتية . في ميمره على اليشاع وجه ٨١ المجلد ٢ قال : « ان الكنيسة بحكمة تكرم عظام القديسين اذ تعلّم ان اجسادهم هي آنية خدمة الملك وهيا كل تسكن فيها القداسة وتُخدم فيها الطهارة والايمان . هي حصون تخلص الشعب من اللصوص في زمان الحرب فهم المدينة المبنية على جبل عالٍ لا تزعزعها القوات المحيطة بها . تنبع من عظامهم الحياة بسخاء . واذا احببتَ اثبات ذلك فاسمع : مات اليشاع الذي اقام ابن المؤمنة وبعد موته ايضًا نبعت جثّةُ الحياة . ان النبي في موته كان حيًّا وهكذا هو حيٌّ حتى انهُ اعطى غيره الحياة » . وقس على هذا شفاعة القديسين لا سيا العذراء . مريم عليها السلام فقد تكلّم مرارًا كثيرة عن قدرتها وشفاعتها وخصّص ميمرًا كاملًا على دوام بتوليتها وشهد على براءتها من كل دنس . قال في ميمره على مريم ام الله (١ : « لو وجد (المسيح) اجمل منها لما انتخبها فان الله لا ياخذ بالوجوه ولو وُجد في نفسها عيب او نقص لطلب لهُ امًا اخرى لا عيب فيها » . وفي

١) طالع كتاب بهدونا وجه ٦٢٣

ميمره على ميلاد المسيح قال : (١ « هذا هو الابن الذي صوَّر امهُ في بطن امها وهو تصوَّر فيها جسدًا وصار منها . زيَّن امهُ بصورة ابيهِ حين خلقها وفي آخر الزمان جاء فتصوَّر فيها وصار منها . بالامس خلقها واليوم وُلد منها فانهُ اقدم واحدث من والدتهِ »

في ميمره على الآلام وجه ٤٨٤ المجلد ٢ عند ما يصل الى العشاء السري يفتتح كلامه قائلًا : « هنا العجب يتولَّى على نفس المتكلم فعلى العقل ان يضطرم بنار المحبة التي تنفي الشك والريب وهكذا فلينظر الى ابن الله بالايمان الذي يقطع الهاويات فلا يكن كلامنا كلام من يفحص بل من يؤمن » — وبعد هذا الافتتاح الفخيم قال : « وزع ربنا جسده على المائدة فمن يتجاسر والحالة هذه ان يقول انهُ ليس جسدًا ؟ هو قال : هذا هو جسدي فمن لا يصدّق بهِ ؟ فان لم يصدّق ليس تلميذ الرسل لان الرسل صدّقوهُ واكلوهُ وهو حيٌّ ومتكىءٌ معهم وعرفوا دون ارتياب انهُ مات وحيٌّ في وقت واحد لانهُ ان لم يكن مائتًا لا يمكن ان يكون الخبز جسده وان لم يكن حيًّا فلا يتأتى ان يوزّع جسده لرسلهِ . ان لم يكن مقتولًا فكيف اكلوه وان لم يكن حيًّا فمن الذي قسم جسده هناك . فحقًّا كان مقتولًا وا كلوه وكان حيًّا يتكلم مع تلاميذه . . . كسر الخبز وعمله جسده واعطى تلاميذهُ فاستطعموا بجسد ذي حياة . منذ مسكهُ وسمّاهُ جسدهُ لم يبقَ خبزًا بل جسدهُ . واياه كانوا يأكلون وهم متعجبون . يأكلون جسدهُ وهو متكىءٌ معهم على المائدة ويشربون دمهُ ويسمعون صوت تعليمه . كان ايمانهم قويًّا كالجبار فلم يشكّوا انهُ حيٌّ ومقتول معًا وكان المقتول متكئًا على المائدة ولا يُفحص وكانوا يشربون دمه وهم مصدّقون انهُ دمه وهو حيٌّ وليس ثم فاحص ولا منتقد . لم يسألوا مع انهُ كان محل للسؤال : كيف يا رب تدعوهُ جسدًا وهو خبز . ان الايمان لا يتنازل الى السؤال فانهُ يعرف ان يصدّق ولم يتعلَّم قط ان يفحص فالرسل كانوا مجتهدين ان يصدقوا الابن لا ان يفحصوا او يسألوا كالجسورين . فالخبز الذي كسرهُ ودعاهُ جسدًا عرفوهُ جسدًا وهكذا اتخذوهُ كأن الدم يقطر منهُ حقًّا . من كان يقدر ان يذبح الابن قدام ابيه لو لم يذبح هو ذاته بيده قبل ان يتألَّم . فالرب هو هو البحر العظيم والذبيحة التامَّة ولهذا ذبح هو ذاته بيده امام ابيه .

١) هناك وجه ٨٠٣

كسر ووزّع جسده بيده للاثني عشر فلو لم يروهُ يكسر لما كسروا هم . قام كالمحب لكي يكهّن نفسهُ بنفسهِ بين التلاميذ لكي يعطي انموذجاً للكهنة ليقتدوا بـهِ . علّمهم ان يكسروا جسدهُ ويوزّعوهُ لاهل بيت الايمان »

وفي ميمرهِ على الصوم وجه ٥٨٦ مجلد ١ قال : « جمال الكنيسة هو صومها وزينتها هو السهر والصلوات تحفظ نفسها من الاكل لكي تاكل عريسها الشهي في نهاية الصوم . اين رأيتم عروساً تأكل عريسها ابدًا وعذراء يوضع خطيبها امامها على المائدة ؟ اشتهت واحبّت صامت فجاعت اقتربت فاكلت تلذّذت وسمنت دخلت وورثت كنز الآب . بصومها رأت عريسها يحارب الشيطان فصامت معهُ وعند ما اضحى ذبيحة وزّعتهُ لابنائها »

وفي ميمرهِ على المناولة وجه ٢١٩ قال : « ذاك الذي يحترق منهُ النورانيون في العلى تراهُ في الخبز والخمر على المائدة . الملائكة لا يجسرون ان يحدقوا فيه نظرهم والانسان التراب الحقير يأكله بجراءة فلو امكن وجود الحسد في العُلى لكاد الكاروبيم ان يحسدوا البشر . » — ولهُ ميمر كامل عن تقدمة القداس لاسفاف الموتى يقول فيه وجه ٥٣٥ مجلد ١ : « هذا هو ايمان الكنيسة انها تقدر ان تعمل الخبز والخمر جسداً ودماً فتكسر الخبز ولا تعرفه الّا جسداً وتمزج الخمر وهي متأكدة ان في اناءها دماً . » ثم بعد ان اثبت ان قربان الخبز في العهد القديم كان مكرّماً اكثر من سائر القرابين قال : « فان كان وهو خبز اكرم من سائر القرابين فاي قربان اعظم منهُ الآن وهو جسد ؟ ان الكنيسة لم تأخذ المثل من القدماء حتى تكسر اليوم خبز الاسرار بل رأت في العلّية ربها يوزّع جسدهُ فتعلّمت ان تصنع كل يوم كما رسم لها وها هي تتحفّظ عليه وتحتفل بهِ فانهُ ذبيحة عظيمة يكمل بها الاحياء والاموات . » — ثم يوبّخ الشعب على انهم يهملون القداس عن امواتهم ويكتفون بالبكاء عليهم لا سيما النساء فقال : « هنا كلامي الى النساء . ان كنَّ يسمعنَ لي باذن النفس انهنَّ يتجولنَ بين القبور ليبكينَ ويظهرنَ محبتهنَّ لامواتهنَّ بالولولة ويتركنَ الكنيسة وخدمتها . ايتها المؤمنة اطلبي حبيبك في هيكل القدس عند الله الذي بيدهِ جميع الارواح ... عقلكِ قد ذهب ام ايمانكِ ناقص حتى تسوقكِ العادة الى هذه الامور التافهة ؟ فلو كانت فيكِ محبّة الله لفضّلتِ الصلوة على الولولة وصنعتِ ذكر امواتكِ بالقرابين والصلوات . واما ان الاموات يستفيدون من الذبائح التي يقرّبها الاحياء . فهو امر لا يحتاج الى سؤال

وان تجاسر احد ان يسأل ما هو بديهي فالتعليم الصحيح حاضر لاقناعه · يهوذا المكابي رئيس جيش الابرار تنطَّن وقرَّب ذبيحة عن الاموات »

ان يعقوب كثيرًا ما يتكلم عن الرسول بطرس ومناقبه وامتيازاته في ميامر شتى لكن على الخصوص في ثلاثة ميامر : الاول في اعترافه بان المسيح ابن الله واستحقاقه بذلك ان يصير صخرة الكنيسة · والثاني في قول المسيح لهُ : اذهب ورائي يا شيطان · والثالث في انكاره المسيح · فمن تصفَّح كل ذلك لا يشكُّ ان السروجي كان معتقدًا بكمال الاعتقاد ان بطرس هو رأس الكنيسة ومعلمها ونائب المسيح على الارض وانهُ لهُ مل · السلطان على بيت الله وانهُ معصوم من الغلط وقد صدق الاب بيجان اذ يقول في مقدمة كتابه انـهُ لم يرَ كاتبًا بين القدماء افصحَ عن امتيازات بطرس كما افصح السروجي · واليك مثل على ذلك :

في الوجه ٤٧٦ الجلد ١ بعد ان قال بطرس : انت المسيح ابن الله الحيّ · اجابهُ لهُ الجد : « انت الصخرة التي اضعها في اساس البيت الكبير وعليك ابني البيعة التي اخترتها · ايمانك هو صخرة ولهذا انت صخرة وعليك ابني الكنيسة التي تجلّ عن الانقسامات · · نظم المسيح اثني عشر حجرًا في قصر النور وانتخب منها واحدًا ليرفع عليـه البيت كلهُ فصوَّر ورسم ونحت هذا الحجر العظيم وعتَّق فوضعهُ بالبنيان الذي شادهُ »— وفي وجه ٤٨٥ لمَّا قال شمعون للمسيح حاشاك ان تموت دعاهُ المسيح شيطانًا مع انهُ كان يحبُّهُ · وبَّخ التلميذ الذي اضحى صخرة الكنيسة وكان قد اعطاه مفاتيح العلى والعمق · على انهُ لم يرَ موت المسيح لائقًا بهِ · فلماذا يدعوهُ شيطانًا وهو رأس التلاميذ ؟ فيجيب : « ان الشيطان حسد شمعون لانهُ ارتفع فانتهز الفرصة ليضع عيبًا في من كان قد انتُخب واضحى مزيَّنًا بالايمان والمحاسن · سمع انهُ اخذ الطوبى من المخلص ووُضعَ لهُ اسم فاخر ليصير صخرة اساس بيت الملكوت · رأى ان ربَّهُ سلَّمهُ مفاتيح الكنز كلهِ ليكون آمرًا على العلى والعمق بسلطة · رأى انـهُ بالامس كان صيادًا واليوم اضحى ملكًا فحسد واحترق وضرب بكفيه وتزمر · سمع اللعين ان سوف تُهدم الجحيم وتُبنى كنيسة الابكار على التلميذ · تضايق الخبيث بمـا سمعهُ عن شمعون وقصد ان يبيد هذا الرسول فقال اذا صدمتُ الاساس الكبير فلا يتم البنيان كلهُ ان يرتجّ واذا زلَّ التلميذ تزعزعت الكنيسة وان لم تتزعزع فالويل لنا · فاذا تزعزع هذا الذي صار

صخرة او اعوجّ ارتخى البنيان القائم عليه . لانصبنّ لشمعون فخًا يقع فيهِ فاذا وقع صِيدت النسور المرافقة لهُ . هم اثنا عشر واذا ظفرتُ باولهم انحاز رفاقهُ الى الظلام . فعند ما قال شمعون للمسيح حاشاك يا رب ان تموت عرف المسيح من اين اتى هذا الكلام . عرف ان الشيطان زرع هذا الفكر في التلميذ وليس الفكر منهُ وحالًا التفت اليهِ وسمّاهُ شيطانًا فسمّى المشورة الآتية من الشيطان شيطانًا اما الرسول فبقي على ما كان عليهِ عند المخلص . . . هرب الشيطان وراء يسوع وبقي التلميذ فان المسيح قال اذهب يا شيطان فذهبت من شمعون الافكار الضمينة الآتية من الشيطان ولبث الصفا صخرة في البنيان »

وفي ميمرهِ على انكار بطرس يقول ان المسيح سمح بذلك ليجعل بطرس الاوّل في كل شيء حتى في التوبة والرجوع الى الله . قال : « كان من اللازم ان تتعلّم الكنيسة من شمعون الباب الذي يجب ان يدخلهُ التائبون . لانهُ بدون اساس من يستطيع ان يبني بيتًا فكان من اللائق ان يكون بطرس الاوّل في كل شيء . بهذه الصخرة يحسن ان يقتدي كل انسان من اي طبقة كان من طبقات الكنيسة . انظر الى شمعون ورتّب نفسك على بنيانهِ كائنًا من كنتَ فان كنتَ صديقًا اقتدِ بايمانهِ وان كنتَ خاطئًا تشبَّه بدموعهِ »

وفي الميمر على التوبة وجه ٥٣١ قال : « قبل ان يُخطئ بطرس أُقيم رئيسًا على التلاميذ وبعدما انكر ردَّ لهُ (المسيح) بالتوبة مقامهُ لم ينزلهُ الى المقام الخامس او الثالث بل اقامهُ في الدرجة الاولى . قبل انكاره كان ربَّ البيت فلمَّا نكر خرج ولانهُ تاب ادخلهُ وزاد لهُ ان يرعى اغنامه . ردَّ لهُ المفاتيح التي فقدها بانكارهِ وزاد لهُ الخراف والنعاج والكباش . ان ابن الله احبَّ اغنامهُ ومات لاجلها واعطاها لشمعون لانهُ كان واثقًا انهُ يحفظها » — وفي ميمرهِ عن الوزنات الخمس وجه ٥٣٣ قال : « شمعون الصفا قلع هياكل الوثنية ونصب الكنيسة وفي مكان الصخرة الاولى وضع نفسهُ اساسًا للكنيسة وبنى جدرانها الرسل رفاقهُ فقام البنيان واتى المسيح في رأس الزاوية فصار السقف . وضع في وسطها منارة الصليب فلا تحتاج ان تضيء لها الشمس . فتح فيها رَحمًا روحانية تحبل بالاموات وتلد احياء للآب . بنى فيها مذبحًا ووضع فوقهُ وليمة الجسد والدم

كسر خبز الحياة ومزج الكؤوس وكأف المدعوين ووزّع المال الذي اعطاه ربّه وتاجر به »

وفي ميسرو على التوبة وجه ٦٧١ قال: « هذا ما صنعتهُ حكمة ابن الله انهُ اقام وسيطاً بينهُ وبين كنيسته من كان قد اخطأ بالنكران... ضع بنيانك على الاساس ان كنتَ عاقلاً لانهُ مَن يحمل ثقل البيت الّا شمعون؟ ان لم تنظم على هذه الصخرة حيطان سقفك فانت خارج عن البيت واين يطلبك رب البيت؟ »

هذا ما قدرنا ان نلتقطهُ من محسنات هذا الكنز النفيس وعند الختام نرى انفسنا عاجزين عن اسداء الشكر الوافي لحضرة الاب بيجان على ما اولانا من الفضل بكتابه هذا وبجميع الكتب التي نشرها فليس لنا سوى ان ندعو لهُ بطول العمر وجزيل الثواب في الآخرة وهذا جلّ بغيته وغاية عنائه القصوى

رحلتي الى الشوا

او من هرر الى اديس ابابا عن طريق التشرشر

للصيدلي القانوني عبدالله افندي ميخائيل رعد (تابع)

عن معسكر إدَّين الخيس ١٧ ايار سنة ١٩٠٦

(المرحلة الثامنة) قمنا اليوم من معسكرنا في بوركا ظنّاً منا اننا ننزل في هرنا الّا ان قائد حملتنا والمُكارين قد اتفقوا على ان نضرب سرادقنا في إدَّين فكانت مرحلتنا صغيرة. وما الداعي الآن بيننا وبين هرنا عقبة كبيرة متعبة شاءوا ان يبقوها الى الغد. اما طريق مرحلتنا اليوم فكان صعب المسلك به قليل من الصعود بادئ بدء لكنّ ثلاثة ارباعه كان هبوطاً صعباً قطعنا معظمهُ مشياً على الاقدام على اننا لم نشعر بالنصب لان الاشجار ذوات الظل الظليل والورد البرّي في غض ايام زهره وكثيراً من النباتات الغريبة كانت تزيّن حافتي طريقنا. فكنّا تارة ننظر الى جمال الطبيعة وشهوق الجبال وفخامة الاحراج وطوراً نتباحث ونتناظر في اية فصيلة هي فصيلة هذا او ذاك النبات الغريب حتى انتهى بنا السير الى سهل متّسع خصب كلهُ مراعٍ

خضراء طيّبة وهي ارض إدّبن حيث ضربنا خيامنا وصرفنا فيه مساء النهار مع الليلة التالية

ولم تمطرنا السماء اليوم في النصف الثاني من النهار خلافاً لما عوّدتناه مذ بارحنا هرر الّا اننا اضطررنا مع ذلك ان نلازم المضارب لان الشمس كانت حادّة قويّة والجبال المزدانة بالغابات بعيدة منا تُرى عن بُعد كانها مغطاة بالحشيش مع انّ اشجارها شامخة العلو . على ان هذا الحر لم نشعر به الّا عند تجوالنا في الشمس فان النسيم الرطب كان يلاعب اطراف الخيام فأنسنا منهُ راحة جلبت الينا النعاس فنمنا آمنين بعد تناول الطعام برهة ليست بالوجيزة . ولم نشعر ايضاً في هذا المساء ببردٍ كما في المضارب السابقة لان المحل منخفض فاملنا ان نرقد في هذه الليلة رقاداً هنيئاً

☼

عن مضرب هرنا الجمعة ١٨ ايار سنة ١٩٠٦

(المرحلة التاسعة) طريق هذه المرحلة اي بين إدّبن وهرنا شديد الوعورة ابتدأ بعقبة تتجاوز المئتين وخمسين متراً بين الاحراج . ثم عقب هذا الصعود هبوط عظيم طويل كلّي الصعوبة نزلناهُ على الاقدام فكنا نشاهد على طريقنا قطعاناً من القرود تقفز على الاشجار وتعارض الطريق امامنا مارّةً من ناحية الى اخرى فقتل منها رجال خفرنا كثيراً رمياً بالرصاص لنرى هل تأتي بقية القرود كما يقال عنها وتحمل موتاها . فكانت هذه الحيوانات تهرب وتختفي بين الادغال عند سماعها صوت اطلاق البنادق ولا نعلم أكانت تعود بعد مرورنا لتحمل موتاها ولكنّ الاهالي اكّدوا لنا هذه الرواية وقد رواها ايضاً كثير من الرحّالين . ومن هناك انتهت احراج هذه الجهة من الحبشة وبدأت بلاد التشرشر واولها هرنا التي حططنا فيها الرحال اليوم . وهذه البلاد ليس فيها من الاشجار سوى بعض شجر الميموزا المختص بالبلاد الحارّة وهو هنا اطول ساقاً واكثر اوراقاً واقصر شوكاً مما في الصحراء وفي وسطهِ كثير من الادغال

هرنا اسم لسهل متّسع حولهُ منطقة من الجبال عالية جدّاً واكثرها عارية عن الاشجار . وهذا السهل من اخصب الجهات الخاضعة لامرة المغفور لهُ الراس مكونين يجري بهِ نهر وتتفجّر في كل جهاتهِ ينابيع ماء عذبة . وكان هذا الامير الخطير رحمهُ الله قد اقطع هذه الجهة للمسيو لاغارد دوق انطوطو وسفير فرنسة في الحبشة فقسم

هذا تلك الارض اقساماً على كبار كاثوليك الحبشة منهم اتو يوسف قنصل الحبشة في جيبوتي واتو مرشا حاكم ذيريداوا واتو اتيسه رئيس المجلس المختلط في هرر سابقاً واتو زوكا ترجمان سفارة فرنسة في اديس ابابا والمرحوم اتو وسانيه الذي كان راهباً من الاخوة الاصغرين وكبير المنزلة لدى امير البلاد المتوفى . وقد استخدم هؤلاء المذكورون فلاحين من انكالا الكاثوليك فاصبحت هذه الارض مركزاً كاثوليكياً محضاً ولهم مزرعة يسكن بها وكلاؤهم وفلاحوهم بقرب ينابيع المياه العذبة على سفح الجبال وقد اعتنوا باراضيهم اعتناء خاصاً فجعلوا بها مزارع جميلة وبساتين بنّ زاهية ناجحة لان الارض تعادل حرارتها حرارة هرر تقريباً ولانهم كلهم عاقدو الخناصر سوية على التحاب والتعاضد اذ تجمع بين اكثرهم القرابة فضلاً عن وحدة المعتقد

اما المراعي فيها فهي العجب العجاب لان العشب يغمر الانسان الى صدره والبهائم الى ظهورها وقد طفنا نحواً من ساعة لنجد محلاً قصير الحشيش لنضرب فيه خيامنا فلم نجد حتى اضطرّ رجالنا ان يحصدوا مسافة كافية حيث القنا المضارب واسترحنا . ومن محاسن هذه الجهة انها ملآنة بكل انواع الطرائد واخصها الوعول والغزلان والدجاج البرّي والحجل فاقتنصنا منها ما اردنا . ومما هو افضل من ذلك انهُ يوجد فيها الزاد الذي يحتاج اليه المسافر اكثر مما في سواها وارخص ثمناً لذلك اغتنمنا الفرصة فجددنا فيها ما نحتاج اليه نحن وحاميتنا من المؤونة ما يكفينا حتى نصل الى بلد المنجار حيث توجد المؤونة ايضاً بغزارة . وقد لازمنا خيامنا بعد الظهر مع صفاء اديم الجوّ لأن السهل عارٍ من الاشجار ولأن العشب طويل يصعب فيه التنزّه وخشية من الحشرات التي تختفي في مثل هذا العشب الكثيف. ولولا بلوغنا عند الساعة العاشرة ونصف قبل الظهر الى هذه المحطة وكفاية الوقت الذي بقي من النهار لكنا اضطررنا ان نمكث الى غدٍ ايضاً هنا لانتجاع المراعي لبهائمنا وتجديداً لقواها لأن البلاد التي سنمرّ بها بعد هذه المرحلة لا تكون بخصب هذه والتي قبلها . وقد لهونا ونحن في مضاربنا بالصيد لكثرة الطرائد التي كانت تمرّ او تتطاير على مقربة من سرادقنا

*

عن مضرب دايشه السبت ١٩ ايار سنة ١٩٠٦

(المرحلة العاشرة) استيقظنا ليلة امس اكثر من مرة من رقادنا على صوت عواء

الضباع وصراخ رجال حاميتنا عند طردها . وقد كانت تأتينا ثلاث وُرباع سوية من جهات مختلفة بجراءة وتدخل حتى وسط مقامنا للفتك ببغالنا ولكن الخفر كانوا واقفين لها بالمرصاد فلم ينلنا من هجومها اذى والحمد لله ولكنها ازعجتنا خلافاً لبقية الجهات التي حللنا بها سابقاً

بين هرنا وادبشه مرحلة قصيرة لا يميّزها شيء من جمال الطبيعة والغابات الفخمة التي الفت عيوننا مرآها في السابق فالطريق كلها صعود تتوغل بين جبال واودية مغطاة بنبات اشبه بالادغال منهُ بالاشجار يكثر فيهِ نوع الميموزا يتخللها مع ذلك كثير من انواع الاشجار العظيمة التي رأيناها في الغابات السابقة كالعرعر والزكيا والعفص والاجناس الصنوبرية وانما هي في هاته الجهة قصيرة ومنبسطة وما ذلك الا لأن الصقع احرّ من الاصقاع السابقة مع انهُ اعلى ارتفاعاً منها عن سطح البحر ما خلا جهة كولوبي التي اوينا اليها بعد مرحلتنا الثالثة فهي اكثر علواً من هنا

اقمنا في دابشه على قمة مرتفع يطل من جهتهِ الشمالية على اراضي فسيحة كلها مزروعات ويرى بها قرى كثيرة للكالا والاحباش يتدنى بها النظر ما يستطيع سبيلاً وراء ذلك صحراء الدناكل تظهر عن بعد كأنها البحر لاتساعها واستواء ارضها الرملية وكذلك من جهة الجنوب ترى ايضاً اراضي فسيحة خالية من الاشجار ما عدا بعض الادغال وهي ايضاً حقول ذرة وحبوب . اما الناحيتان الشرقية والغربية فيحول دون النظر اليها جبال شاهقة غير متساوية ومتفاوتة الارتفاع والقسم خضراء المنظر مكتسية بالادغال . واما المكان المضروبة فيه خيمنا فهو مفروش بالعشب الاخضر الجيد وعلى مقربة من نبع ماؤهُ شروب . ونظراً لوجودنا على قمة محل مرتفع كان النسيم الرطب يتلاعب بمضاربنا فأنسنا منهُ راحة لاجسامنا من اتعاب السفر ومتعنا انظارنا بمرأى السهول الواسعة الخضراء التي تجلو الخاطر وتروح الافكار وتثير في مخيلة الانسان تصوّرات شعرية

*

عن معسكر كوني الاحد ٢٠ ايار سنة ١٩٠٦

(المرحلة الحادية عشرة) من دابشه الى كوني مسير مرحلة ليست بالقصيرة وكلها تقريباً صعود وهذا طبيعي لاننا نتجه نحو بلاد تعلو فوق جهات هرر على اننا مع ذلك

تجاوزنا نقطة ارتفاع اديس ابابا اذ اننا اليوم في كوني على علوّ ٣٢٠٠ متر عن سطح البحر اما اديس ابابا فلا تتجاوز ٢٥٠٠ متر علواً

طريق هذه الرحلة كله على سفح الاطواد فكنّا نرى الجبل من جهة والوادي من الاخرى فنسير تارةً عن يمين الوادي وطوراً عن شماله على حسب هيئات وتكوّن الجبال التي كنّا ندورها فكان منظرهُ مخيفاً اكثرما هو مهيباً تعتري الانسان الدوخة كل مرّة يحدق بنظره الى الهاويات التي حولهُ . اما الجهات التي مررنا عليها في هذه الطريق فكانت تارةً حافلة بالاشجار واخرى عارية منها وطوراً هي ادغال ولكنها كانت مهملة من الزرع ينبت بها العشب مروجاً وقد شاهدنا هناك بعض قطعان البقر ترعى ولكنها قليلة جداً مما يجب ان تكون بالنظر لاتساع الارض وبالنسبة لكثرة المرعى . ولما اقتربنا من كوني دخلنا وسط غابة جميلة تحاكي الغابات التي مررنا عليها سابقاً . نعم ان هذا الغاب قليل الاتساع كما قيل لنا ولكنهُ جميل المنظر جداً وفخيمة . وان توغلت في الجبال الصاقية التي تراها عن بُعد مغطاة باحراج كثيفة لقيت فيها عُرُن الاسود وقد اكّد لنا حاكم البلدة انهم يسمعون في الليل مرات كثيرة زئير السباع فتذعر دوابهم وقطعانهم وتقطع حبالها لتذهب شاردة في البرّية من هولها

كوني بلدة مرتفعة وآية في الحسن والرواء . فيها محلّة للتافون ومصيف لامير البلاد وكان للفقيد الراس مكونين في هذا المصيف نحو ثلاثة آلاف رجل من حاميته الخاصّة تحت امرة الجنرال ابا تابور وهو اليوم في العاصمة صحبة المارشال تفاري ابن الراس . فاستقبلنا وكيل هذا القائد ووكيل المصيف بكل ترحاب وانس وقدّما الينا زاداً ومؤونةً للحامية تكفينا ما بقي لنا من الطريق او تقريباً

*

عن مضرب بوروما الاثنين ٢١ ايار سنة ١٩٠٦

(المرحلة الثانية عشرة) هذه هي المرحلة الاخيرة من هذه الطريق التي نمرّ فيها على الغابات الكثيفة الجميلة الشاهقة الاشجار ومن الآن فصاعداً نُقرئ السلام للاحراج وسيكون طريقنا مكشوفاً عارياً او قليل النبات حتى اديس ابابا . قمنا اليوم من كوني تلك المحطة الجميلة فدخلنا حالاً في حرج كثيف يشبه بالتمام تلك الاحراج التي اتينا على وصفها في المراحل السابقة غير ان الطريق فيه كلها انحدار وكثيرة الوحل صعبة المسلك .

. ثم خرجنا من هذه الغابة الى طريق مكشوف محاط من جهتيهِ بالادغال فسرنا بانحدار حتى اشرفنا على وادٍ عميق فقيل لنا ان مسيرنا اليهِ. ويقال لهذا الوادي وادي التشرشر فكرَّرنا الوداع لبلاد الغابات. قادتنا الطريق بين روابي وسهول خضراء ليس بها مزارع ولا اشجار الى الوادي المذكور بعد انحدار وعر المسلك وشديد العمق فالفينا الارض كثيرة القرى فسيحة المزدرعات ومررنا فيها على اكثر من خمسة انهر في اقل من مسير ساعة حتى وصلنا الى قرية بوروما فضربنا المضارب على مقربة من تلك القرية

ولا عجب من كثرة الانهار ان اعتبرنا ان وادي التشرشر وحده يُحصَّل منهُ نصف كمية البن التي تباع في اسواق مدينة هرر فكل هذه البساتين يقتضي لها كمية كبيرة من الماء لريّها ولا عجب ايضًا ان وجدنا هذا الوادي حارًا فلحرارتهِ سببان اولهما قلَّة ارتفاع نقطتهِ وثانيهما قربهُ من بلاد الصحراء التي سنصل اليها بعد مرحلتين. لذلك شعرنا اليوم بغتةً بفرق حرارة الهواء هنا وبرودتهِ في محطة كوني بالامس وستكون محطاتنا التالية كلها حارة حتى نجتاز عرض الصحراء المحرقة وبلادًا بعدها بحرارة هذه التي اليوم نحن فيها الى ان نصعد جبال بالتشي (لهُ تابع)

عبد الله بن الفضل الانطاكي

نبذة للابوين قسطنطين باشا ب. م. ولويس شيخو اليسوعيّ

للكتَّاب الملكيين القدماء حظٌّ وافر في آداب العربيَّة لا يقلّ فيها عددهم عمَّن سواهم من فرق النصرانيَّة وليسوا دونهم بكثرة التآليف والتصانيف والترجمات من اليونانيَّة او السريانيَّة الى العربيَّة مع صحَّة النقل فيها. بل لكتبهم الدينيَّة اليوم شأن خطير عند العلماء لكونها اصحّ عقيدة واقوى حجَّة على دوام تعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة

الَّا انَّ اكثر هؤلاء الكتبة الافاضل لا يُعلم من تاريخهم الَّا الشيء اليسير الذي لا يروي غليلًا ولا يشفي عليلًا. وممَّن بحثنا عن اخبارهِ في الكتب المطبوعة والمخطوطة وفي مكاتب الخاصَّة والعامَّة رجلٌ اشتهر قديمًا بالفضل والعلم وعُرف بكثرة تعريباتهِ التي لم تزل تتداولها الايادي منذ قرون عديدة فلم نظفر لهُ بعد العناء الطويل الَّا

بمعلومات قليلة التقطناها التقاط الدراري الثمينة وها نحن نعرضها لقرَّاء المشرق عاًّهم يزيدونا علماً بما وصلت اليه معرفتهم ولهم منَّا الشكر الجزيل سالفاً . ثم نلحق هذا الفصل بتعداد ما يُعرَف لابن الفضل من التآليف والمعرَّبات التي خدم بها الكنيسة والآداب العربيَّة خدمةً جليلة قلَّ ان يكون لهُ فيها نظير

١ ترجمة عبد الله بن الفضل

﴿ اسمهُ ﴾ يؤخذ اسم صاحب الترجمة من مقدَّمة تآليفهِ ومعرَّباتهِ العديدة فانهُ يُدعى غالباً بالشمَّاس عبدالله بن الفضل الانطاكي . وربَّما ورد اسمهُ بزيادة في التعريف فيسمَّى الشمَّاس عبدالله بن الفضل بن عبدالله المطران الانطاكي . فيتَّضح بذلك انَّ اباهُ كان اسمهُ الفضل وانَّ جدَّهُ عبدالله دخل بعد زواجهِ الكهنوت كعادة الشرقيين ثمَّ رُقي الى رتبة المطرانيَّة بعد موت امرأتهِ او بعد انفصالهِ عنها . وصار حفيدهُ شمَّاساً وليس لدينا دليل على انتظامهِ في سلك الكهنة

وممَّا جاء في بعض النسخ انَّ عبدالله كان يُلقَّب بأبي الفتح ولا يُراد بذلك انهُ كان متزوّجاً ولهُ ولد يدعى الفتح وان كانت درجة الشمَّاس لا تمنع الزواج قبل الرسامة وانَّما النصارى الشرقيُّون اعتادوا استعمال هذه الالقاب للدلالة على رفعة مقام صاحبها لا غير كما ترى في اسماء غيرهِ ممَّن لم يرتبطوا بقيد الزواج كأبي الفرج ابن العبري اليعقوبي وابي الحليم ايليَّا النسطوري وابي البركات القبطي وغيرهم من الاساقفة الذين عاشوا متبتّلين

﴿ وطنهُ ونحلتهُ ﴾ كان عبدالله بن الفضل من انطاكية . وكانت تلك المدينة حينئذٍ من حواضر الشرق وصفها الكاتب النصرانيّ ابن بطلان الطبيب المعاصر لابن الفضل الانطاكي في رسالتهِ الى ابن الحسين هلال بن المحسن الصابئ لمَّا زارها سنة اربعين واربعمائة للهجرة (١٠٤٩ م) قال (اطلب معجم البلدان ١ : ٣٨٣):

« انطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل ولسورهِ ٣٦٠ برجاً يطوف عليها بالنوبة ٤٠٠٠ حارس . . . يضمنون حراسة البلد سنةً ويُستبدَل جمع في السنة الثانية . وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتَّصل بجبل والسور يصعد مع الجبل الى قلَّتهِ فتتمُّ دائرة (كذا) وفي رأس الجبل داخل السور قلعة تبين لبعدها من البلد صغيرةً وهذا الجبل يسترها الشمس فلا تطلع عليها الَّا في الساعة الثانية . وللسور المحيط بها خمسة ابواب وفي وسطها بيعة القُسْيان وكانت دار قُسيان الملك الذي احيا ولدهُ فُطرس رئيس الحواريين وهو هيكل طولهُ مئة خطوة وعرضهُ

ثمانون وعليه كنيسة على اساطين وكان يدور الهيكل اروقة يجلس عليها القضاة للحكومة ومتعلمو (لعلّها: معلّمو) النحو واللغة . وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فنجان (١ للساعات يعمل ليلًا ونهارًا دائمًا اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا وفي اعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمّامات وبساتين ومناظر حسنة تخرّ منها المياه وعلّة ذلك انّ الماء ينزل عليها من الجبل المطلّ على المدينة . وهناك من الكنائس ما لا يُحدّ كلّها من الذهب والفضّة والزجاج الملوّن والبلاط المجزّع . وفي البلد بيمارستان يراعي البطريرك المرضى فيه بنفسه ويُدخل المجذّمين الحمّام في كلّ سنة فيغسل شعورهم بيده ومثل ذلك يفعل . . . بالضعفاء كلّ سنة ويعينهم على خدمتهم الاجلاء من الرؤساء والبطارقة التماس التواضع . وفي المدينة من الحمّامات ما لا يوجد مثلهُ في مدينة اخرى لذاذةً وطيبةً لأنّ وقودها الآس ومياهها تسعى سيحًا بلا كُلفة . وفي بيعة القسيان من الخدم المسترزقة ما لا يُحصى ولها ديوان لدخل الكنيسة وخرجها وفي الديوان بضعة عشر كاتبًا »

ورُقّي عبد الله بن الفضل الى درجة الشمّاس كما ترى في سياق القابه ونسبه . وهذا الاسم كان يُطلق في الغالب على الشمّاس الرسائلي او الانجيلي والظاهر انهُ لم يتجاوز هذه الرتبة مدّة حياته كلّها وعليه لا صحّة لما قالهُ البعض بلا سندٍ بانهُ صار مطرانًا (٢ والذين ذهبوا الى هذا الرأي انّما خُدعوا بجدهِ عبدالله الذي تمطرن كما سبق القول

امّا مذهب ابن الفضل الانطاكي فكان مذهب النصارى الملكيين كما يُرى من تآليفهِ لا سيّما كتاب المنفعة حيث يدافع عن رأي الملكيين ويدحض اقوال اليعاقبة والنساطرة . وهذا ممّا يلوح ايضًا من كَلَفهِ بالآباء اليونان واعمالهم فانّهُ قد نقل كثيرًا من تآليفهم الى العربيّة فلولا انهُ من الروم الملكيين لما شُغف بمصنّفاتهم وما سعى

---

١) الفنجان هنا كالبنكام او البنكان وهي الفاظ فارسيّة تدلّ كلّها على ساعة مائية او مزولة (Clepsydre) كانوا يتبيّنون بها ساعات النهار والليل . قال القزوينيّ في وصف القسطنطينية في كتابهِ آثار البلاد (ص ٢٠٧) : « وبها فنجان الساعات اتّخذ فيهِ اثنا عشر بابًا لكلّ باب مصراع طولهُ شبر على عدد الساعات كلّما مرّت ساعة من ساعات الليل او النهار انفتح باب وخرج منهُ شخص ولم يزل قائمًا حتّى تتمّ الساعة فاذا تمّت الساعة دخل ذلك الشخص وردّ الباب وانفتح باب آخر وخرج منهُ شخص آخر على هذا المثال

٢) راجع كتاب الآداب النصرانيّة

Dr G. Graf : *Die christlich - arabische Literatur* p. 68 (Diakon und spätere Metropolit ?)

بنشرها . ثمَّ انَّ في اسمهِ والقابهِ ما يصرّح بمذهبهِ فيُدعى « ابن الفضل الانطاكي الملكي » .

﴿ زمانهُ واخبارهُ ﴾ قد اسعدنا الحظّ بعد البحث الطويل على معرفة زمن عبدالله بن الفضل الانطاكي وذلك في مقدَّمات الكتب التي الّفها وعرَّبها فاشار فيها الى بعض الأحداث التي يُستدلّ بها على عهدهِ . قال في مقدَّمة سفر المزامير الذي استخرجهُ من اليونانيَّة : « اعتنيتُ باستخراج معانيهِ من اللغة اليونانيَّة الى العربيَّة بالهام الله والتماس سيدي ابن زكَريّا بن سلامة ولاجل منفعة النصارى »

وكذلك ورد لهُ في مقدَّمة نسكيّات القديس اسحاق ما حرفهُ : « نقلتُهُ من اليونانيَّة الى العربيَّة بالتماس سيّدي نيكوفور ابي النصر اللبيب المشهور » غير انَّنا لم نجد لهذين الرجلين ذكرًا في التواريخ مع ما تصفَّحنا من الكتب . فبقينا على ريب من زمنهِ الى ان اطّلعنا على كتاب آخر عرَّبهُ الشمَّاس ابن الفضل وهو كتاب القديس باسيليوس المعروف بالاكساميرون اي تفسير ستَّة ايام الخليقة ومنهُ عدَّة نسخ قديمة كنسخة دير المخلّص ونسخة المكتبة الشرقيَّة في كليَّة القديس يوسف (المشرق ٧ : ٦٧٨) ففي صدر هذا الكتاب ما حرفهُ :

«كتاب تفسير ستَّة ايام الخليقة تأليف ابينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير وعدَّة مقالاتهِ تسعة (كذا) وفصولهُ مائة وواحد وعشرون نقلهُ من اللغة اليونانيَّة والروميَّة الى اللغة العربيَّة عبدالله بن الفضل الانطاكي وذلك في التاريخ الرابع من جملة السنين في عام ستَّة الاف وخمسمائة وستين »

فالسنة ٦٥٦٠ هي سنة العالم على حساب الكنيسة القسطنطينيَّة وهي توافق السنة ١٠٥٢ للمسيح . ومن ثمَّ يتعيَّن انَّ عبدالله بن الفضل الانطاكي ازهر في القرن الحادي عشرَ للميلاد لا الثاني عشر كما زعم الاب هيڤرنا (Hyvernat) في معجم الكتاب المقدَّس (Dictionnaire de la Bible I, 850)

. وقد وجدنا في تاريخ البطريرك مكاريوس للخوري ميخائيل بريك في الصفحة ٩٦ من نسخة المكتبة الشرقيَّة ما نصُّهُ :

« وبعد نيكفورس صار يوحنا بطريركًا على انطاكية نهذا البطريرك انشأ خبر يوحنا القس الدمشقي . وكان ذلك سنة ٦٥٩٣ للعالم ودبَّر الرعيَّة والكنيسة جيّدًا مدَّة ٤٧ سنة وتنيَّح . وفي زمان هذا البطريرك كان القديس الاجلّ الفاضل الشمَّاس عبدالله بن الفضل ابن المطران الانطاكي

فخلَّف للكنيسة مصنَّفات كثيرة وبعد شيخوخة جيدة انتقل الى الرب بسلام في سنة ٦٥٦٠ للعالم (١٠٥٢م) كما يُذكر في فاتحة بهجة المؤمن »

لكنَّ في قولهِ عن سنة وفاة ابن الفضل لَنظرًا فانَّنا راجعنا فاتحة بهجة المؤمن ولم نجد فيها ان صاحب الترجمة توفي سنة ٦٥٦٠ بل انهُ وضع هذا الكتاب في العام المذكور . وعليهِ فتبقى سنة وفاة ابن الفضل مجهولةً الى ان نجد في ذلك نصًّا صريحًا

﴿ علومهُ ومقامهُ ﴾ انَّ الكلام الذي نقلناهُ آنفًا عن لسان البطريرك مكاريوس الحلبي يُشعر بان صاحبهُ يعتبر عبدالله الانطاكي كرجلٍ عظيم ذي علوم واسعة ومعارف جمَّة . وكذا تجد في صدر الكتب التي ألَّفها المذكور حيث يُنعَت بالقاب شرفيَّة قلَّما تُنسب الَّا الى مشاهير الرجال وأعلام العلماء . فتارةً يُدعى بالشيخ الاجلّ وتارة بالشمَّاس النبيل وحينًا بالفيلسوف الاكمل . على انَّ هذه الاسماء وما شاكلها ليست بكافيةٍ لتعريف مقام هذا الكاتب البارع فانَّ في تآليفهِ وترجماتهِ نفسها لَشواهد محسوسة تنبئ بسموّ فضلهِ . ومما برز فيهِ العلوم الكتابيَّة فانَّهُ لا يكتفي بنقل آيات الكتاب المقدَّس الى العربيَّة بل يضيف اليها من التفاسير ما ينوّه برفعة مقامهِ وسعة معارفهِ . وكذلك يظهر من تآليفهِ اللاهوتيَّة انهُ كان مطَّلعًا على اسرار اللاهوت ومشاكل المعتقدات الدينيَّة على مثال علماء الدين . وكان ايضًا عالمًا بالعلوم الطبيعيَّة والفلكيَّة كما يلوح من تعليقاتهِ على كتاب ستَّة ايام الخليقة للقديس باسيليوس . ومن مزاياهُ حُسن ذوقهِ بانتخاب الكتب النفيسة لينقلها الى العربيَّة . وقد قدَّر النصارى خدمهُ فاكثروا من نسخ تعريباتهِ وتآليفهِ فلا تكاد تجد مكتبة كبيرة الَّا تحتوي على قسم صالح من تآليف ذاك الهمام الفاضل

٣ آثار عبدالله بن الفضل

انَّ الآثار التي صبرت على آفات الدهر لعبد الله بن الفضل لعديدة نقسمها الى اربعة اقسام زيادةً للوضوح . فنذكر اوَّلًا تآليفهُ . ثمَّ ترجمتهُ للأسفار المقدَّسة . ثمَّ تعريبهُ لاعمال الآباء . ثمَّ نقلهُ لكتبٍ شتَّى (البقيَّة لعدد آخر)

الرهبانيّة الباسيليّة القانونيّة الحلبيّة الشويريّة

١٦٩٦—١٩٠٦

نبذة تاريخية في الآباء الاجلاء الذين اداروا شؤونها في وظيفة الرئاسة العامّة

لحضرة الاب الفاضل تيوفانوس جق الباسيلي الحلبي

ان الله المعتني بعروسهِ الكنيسة المقدسة والموجد لها في كل أينٍ وآنٍ رجالاً غيورين ليشدّ ازرها ويردّ سهام مناوئيها ألهمَ سنة ١٦٩٧ الابوين الفاضلين الخوري سليمان والخوري جراسيموس الراهبَين الحلبيَّين من دير سيدة البالمند من اعمال طرابلس الشام ان يرتّبا قانوناً رهبانياً يسلك الرهبان بموجبهِ لان القانون الرهباني كان قد دُرس في البلاد الشرقيّة فتعاقدا البتين مع سبعة من الرهبان اخوتهما على هذا العمل المبرور ورتّبا قانوناً اتّخذاهُ من التيبكون الاورشليمي وتآليف الآباء ونسكيات القديس يوحنا السُلمي وقوانين القديس بخوميوس واعرضاهُ على البطريرك كيرلس الخامس الانطاكي فاعجبَهُ وثبَّتهُ لهما وشدَّدَ عزمهما ونصح لهما ان يسبرا البلاد ليختارا مكاناً صالحاً لاتمام مقصدهما فاطاعاهُ. وذهب الخوري سليمان فجال البلاد حتى اهتدى الى دير القديس يوحنا الصابغ قرب قرية الشوير من جبل لبنان فرآهُ موافقاً لحسن هوائهِ وطيب مناخهِ وابتعادهِ عن السكان فكتب الى ارفاقهِ فحضرَ الخوري جراسيموس وتلميذ لهُ يسمّى موسى وشابّان حلبيَّان كانا حضرا الى دير البالمند لينضويا الى رهبانهِ وشمّاس آخر يُدعى بطرس. وعزم مشايخ دير البالمند ان يتبعوهم غير ان رئيس الدير كتبَ الى البطريرك يشكو لهُ خراب ديرهِ ان تركهُ المشايخ فحرَّر البطريرك للرهبان الذين ذهبوا الى دير الصابغ يأمرهم بالرجوع الى دير البالمند فذهب الخوري سليمان اليهِ يرجوهُ ان يسمح لهُ بالبقاء في دير الصابغ فلم يقبل. ثم قصدهُ الخوري جراسيموس وترامى على اقدامهِ متوسلاً اليهِ بدموع حارة ان لا يعارض عملَ الرب وبعد التوسلات الذليلة والاقناعات البليغة امكنهُ ان يسترضيهُ ان يبقوا في دير الصابغ بشرط ان لا يقبلوا احداً من دير البالمند

فلمَّا صمتَ البطريرك عن بتاتهم كتبوا الى حلب يخبرون اقاربهم بعملهم ويطلبون اسعافهم فارسلوا لهم مبالغ وافرة من الدراهم لتوسيع الدير الذي سكنوهُ وجاء اليهم كثيرٌ من الشبّان الحلبيين ليدخلوا تحت نير الرب الطيّب وكان ذلك سنة ١٧١٠ بعد ثلث عشرة سنة من اعتمادهم على هذا المشروع التقوي قد مضوها بغاية الصعوبة لِما حالَ دون عملهم هذا من الموانع وقد انتصروا عليها بعونهِ تعالى

ثمَّ جدُّوا في تأسيس اسرار الرهبانية الثلاثة الفقر والطاعة والعفة مواصلين السعي في طريق الكمال غير انهُ قد جرت لهم بعض عوائق وصعوبات امتحنهم بها الرب ليُبري ثباتهم ويكلّل صبرهم لان البطريرك رجع الى مماكستهم مجتهدًا في تفريقهم ووضعَ بعض عقبات امامهم كما ان الرب افتقدهم بالفقر حتى لم يعُد عندهم ما يقتاتون بهِ فاضطروا ان يتبدَّدوا في البلاد لاتجاع احسانات ارباب الرحمة وداوموا على تحمّل هذهِ الشدائد الى سنة ١٧١٦ حيثُ ارسلَ لهم الله بعض الشبّان وكان بينهم الشاب نقولا صائغ الذي اختارهُ عزَّ وجلَّ ان يكون سندًا لهذه الرهبانية ومرتّبًا لفرائضها وكان غنيًّا ففرحت الرهبان بهم وتشدَّدت قلوبهم

وفي سنة ١٧٢٠ صار اول مجمع للرهبانية وفيهِ انتخبوا رئيسًا عامًّا واربعة مدبرين ليساعدوا الرئيس العام في ادارة شؤون الرهبانية وابتدأوا منذ ذلك الحين بعمل مجمع عام كل ثلث سنين حتى ايامنا هذه . وها نحن نشرع بذكر الآباء الاجلاء الذين تولّوا الرئاسة العامة في هذه الرهبانيَّة فنقول :

١ ﴿ الخوري نيكيفوروس كرمه الحلبي ﴾ هو الاديب نصرالله ابن الخوري عازار كرمه احد الشابّين اللذين حضرا الى دير البلمند كما سبق القول ثمَّ توجها الى دير الصابغ ونَذَرا هناك . وُلد في مدينة حلب سنة ١٦٧٨ وغادر الدنيا سنة ١٦٩٧ واعتنق نير الرب سنة ١٧١٠ بابرازهِ النذور الرهبانية الثلاثة وأُقيم رئيسًا على الدير حتى سنة ١٧٢٠ حيث أُقيم رئيسًا عامًّا في المجمع العام الاول الرهباني واستمرَّ في تلك الوظيفة الرفيعة الى سنة ١٧٢٧ فنُصِب مدبرًا ثانيًا وقد ساس الرهبانية بنشاطٍ وغيرةٍ لا مزيدَ عليهما واحتملَ ما احتملهُ من المصاعب والمحن والاضطهادات الى ان توفّاهُ الله في دير النبي اشعيا في ١ آب ١٧٢٩ . فيقول كتاب التواريخ الرهبانيَّة :

« ثم ان الخوري نيكيفوروس يوم عيد مار الياس سَرت اليهِ حُمَّى الرئيس العام

(الخوري نيقولاوس) بما انهُ كان يعاني خدمتهُ فوقع في الفراش وكان لـهُ وجع معدة شديد فعالجهُ القس بركوبيوس الطبيب فاخطأ الصواب بما دفعهُ اليـهِ من المسهلات واستخراج الدم وشرب الانتيمون فزاد ثمَّ وجعهُ ولذلك استدعى الرئيس العام واعترف اعتراف الموت ثم توفي اول صيام السيدة سنـة ١٧٢٩ ودُفن في مقبرة دير مار اشعيا فاشتملَ الحزنُ على كل اشخاص الرهبنة لفقد هذا الاب الوديع لانـهُ كان قدَّمَ اكثر الاخوة الموجودين وتنذر الى الرب بقبوله اياهم في الرهبنة واقتبال نذورهم الرهبانية»

*

٢ ❁ الخوري نيقولاوس الصائغ الحلبي ❁ اقام في الرئاسة العامة تسعة مجامع غير متواصلة ابتداؤها في ١٠ ايار سنـة ١٧٢٧ الى ان توفاهُ الله في ١٧ ك ١ سنة ١٧٥٦ وقد ذكر هنا حضرة الاب لويس شيخو (المشرق ٦ : ٩٧–١١١) لمحةً من ترجمة هذا الطيب الأثر فلا حاجة لنا الى تسطيرها وعليك بالمراجعة

٣ ❁ الخوري مكسيموس حكيم الحلبي ❁ هو الاديب ميخائيل بن بولس حكيم ولد في مدينـة حلب سنة ١٦٨٥ وكان من جملة هؤلاء الأدباء الذين اتفقوا على ان يأخذوا اصول اللغة العربية من الشيخ سليمان الحلبي الشهير بالنحوي (١ وفي سنة ١٦٩٧ وهي الخامسة والعشرون من عمرهِ بارح وطنهُ صحبة الشاب نصرالله كرمه واتى دير البلمند ومنهُ ذهب مع الاب جراسيموس الى دير الصابغ ونذرَ هناك النذور الرهبانية ثمَّ ارتسم شمَّاساً انجيلياً من يد السيد سلفسترس دهان اسقف بيروت في ١٣ ت ٢ ١٧١٣. وما عتمَ ان توفي المطران سلفسترس فخلفهُ المطران ناوفيطوس وهو الذي سام ميخائيل كاهناً وذلك في ١٣ ت ٢ سنة ١٧١٤

وبعد الرسامة ذهب الى مصر لخدمة النفوس ومن هناك صعد الى طور سينا واتى بصورة الاسكيم الرهباني المقدَّس (٢ الملتزم بلبسهِ كلّ راهب قانوني حتى ايامنا هذه ولما حانَ التئام المجمع الاوَّل الرهبـاني في دير الصابغ انتُخبَ الخوري مكسيموس مدبّراً اولًا في ١ حزيران ١٧٢٠ وفي السنة التابعة أُقيم رئيساً على دير النبي اشعيا (١٧٢١) وكان واعظاً بليغاً . فلمَّا شاع ذكرهُ طلبهُ السيد فضول مطران حمص لتعليم

١) راجع المشرق ٦ : ٦٦

٢) راجع مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient, VI, p. 181)

المسيحيين ثم ذهبَ الى بلاد. بعلبك فكرزَ وأنذرَ فأثَّر تعليمُهُ جدًّا وسأَلهُ الشعب ان يقيم هناك ويسكن دير ميلاد السيدة في قرية الراس ويجعلـهُ للرهبانية وهكذا تمَّ فيما بعد (١

وفي سنة ١٧٢٩ انتُدب رئيساً عاماً على الرهبانية الحناوية فامتنَعَ يوماً بليلتهِ غير ان المدبرين ولفيف الاخوة الحّوا عليهِ بالقبول فرضخ الّا انـهُ اضمر ترك هذه الوظيفة بعد مدةٍ كما فعـل في ١٥ آب ١٧٣١ فانهُ استقالَ عن يد السيد البطريرك كيرلُس السادس ثم اعلم المدبرين وكان ذلك قصداً منهُ ان يتخلَّص من الحلبيين الذين لم يزالوا يلحّون عليهِ ان يرتضي معهم ويرتقي الى السدة الميتروبوليتية الحلبية. هذا ما رواهُ عن نفسـهِ

وفي هذه الاثناء اعتلَّ صاحب الترجمة بحمَّى بلغميَّة شديدة لم تنجح بها المداواة واقام كل فصل الشتاء عليلاً سقيماً في دير المخلص. اخيراً ذهب الى صيدا لتغيير الهواء وهناك اخذَ ثانيةً رسائل الحلبيين يترامون فيها على قدميهِ ويتوسلون اليهِ بدموعٍ حارةٍ ان يتولّى رعايتهم فامرهُ البطريرك ان يحضرَ الى حلب ويفحص الامـور واخيراً ان يرتقي بالرسامة من يد المطران جراسيموس المستقيل بكل رضاهُ وقبوله

وفي اواخر شباط سنـة ١٧٣٢ نزل الخوري مكسيموس الى حلب مع النائب البطريركي الخوري يوسف بابيـلا فسمعا استعفاء المطران جراسيموس القـانوني وبعد ذلك سيم الخوري مكسيموس اسقفاً على مدينـة حلب من السيد جراسيموس المستقيل ومن السيد اغناطيوس مطران حمص. وعقيب الرسامة ركع جراسيموس امام مكسيموس وناولهُ العصا الرعائيَّة قائلاً : ها قد سلمتُكَ هذه الرعية التي تسلَّمتُها من السيد المسيح وابتعتُها بدمي وسأَطلبها منكَ امام المسيح واطالبُكَ بكرامتي الواجبة (٢

فساس تلك الابرشية الحلبيَّة بغيرةٍ عظيمة وحامى عنها بدمهِ فنشر فيهـا عبادة الورديَّة وألَّف لها (١٧٣٦) كتيباً يتضمَّن الايات المختصة بزياح ايقونة سيدة الورديَّة المقدسة وجعلَ فيهِ ايضاً خمسة ايات سيدة الكرمل مع زياح ايقونتها المقدسة. ولـهُ

---

١) راجع تفاصيل الامر وما جرى في بلاد بعلبك في المجلة المذكورة ,Echos VIII) p. 158 sq.)

٢) راجع تفاصيل الامر في مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient, IX, p. 32-37)

افشين الختام وافشين آخر لتكريس الشمع يوم عيد دخول السيد المسيح الى الهيكل الواقع في ٢ شباط ولقد اسعدنا الحظ على الحصول على هذه التآليف في مكتبة دير الشير في مكين

وفي سنة ١٧٦٠ أُقيم المطران مكسيموس بطريركاً انطاكياً بموجب براءة رسولية اصدرها البابا اقليموس الثالث عشر في ١ آب ١٧٦٠ لسبب الظروف الحالية في ذلك الوقت الذي فيه جرى ما جرى (١ الّا انهُ لم يستمرّ في البطريركية سوى بضعة اشهر وانتقل الى الرب في ٢٧ ت ٢ ١٧٦١ في دير القديس يوحنا الشوير ودُفن على ما رواهُ التاريخ في قبر الشمّاس عبدالله زاخر . وكان عالماً شهيراً لهُ بعض تآليف منها كتاب منهاج التوبة وكتاب التحديدات الكاثوليكيّة بالايمان والاسرار السبعة الكنسيّة وخدمة عيد الجسد الالهي الذي اثبتهُ في مدة رئاسته على ميتروبوليتية حلب وانتشرَ فيما بعد في البطريركية الانطاكية جمعاء حتى في ايامنا هذه

*

٤ ﴿ الخوري اغناطيوس جربوع الحلبي ﴾ هو عبد النور بن قسطنطين جربوع ولد في مدينة حلب سنة ١٧١٤ وفي السنة الثالثة والعشرين من عمره حضر الى دير الصابغ وانتظم في سلك الرهبانية سنة ١٧٣٧ وبعد ثلاث سنين سيم دياكوناً من يد السيد اثناسيوس دهان مطران بيروت في ٢٥ اذار ١٧٤٠ وانتُدب لتعليم المبتدئين . ثمَّ في ٧ حزيران ١٧٤١ سامهُ كاهناً السيد البطريرك كيرلّس السادس طاناس واخيراً في ١٧ ك ١ ١٧٥٦ أُقيم رئيساً عاماً على الرهبانية الحناوية خلفاً للخوري تيولا الصانع المثلث الرحمات . وقد ذكر عنهُ كتاب التاريخ انـهُ ساس رهبانهُ بغيرة عظيمة وعمّر قبواً وفوقهُ اربع قلالي في دير الصابغ ثمَّ بلّط كنيسة النبي اشعيا وبنى في الدير رواقاً لم يزل معروفاً بالرواق الجديد . اخيراً شادَ ديراً على اسم القديس يوسف في قرية عين الرمّانة لاجل سكنى الراهبات القانونيات ولمّا انتُخبَ السيد مكسيموس حكيم بطريركاً انطاكياً سام صاحبَ الترجمة اسقفاً على مدينة حلب في ٢٢ تموز ١٧٦١ وقد عُرف الخوري اغناطيوس بعبادته العظيمة الى القديس يوسف البتول فاثبتَ عيدهُ

١) راجع تفاصيل الامر في مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient, V (1901) p. 86 - 89)

الاغر في ابرشيته الحلبية وجعل اقامته في ١٩ اذار مع ان كنيستنا اليونانية تعيّد لهذا القديس في الاحد الواقع بعد عيد الميلاد المقدس صحبة مع النبي والملك داود واجداد الرب الاله . ورقد بالرب في ١ ك ١ سنة ١٧٧٦ في مدينة حلب ودُفن في الكنيسة الكاتدرائية تحت المائدة المقدسة

*

٥ ﴿ الخوري يعقوب صاجاتي الحلبي ﴾ ولد في مدينة حلب عام ١٧٠٧ وابوه يُدعى حنانيا صاجاتي من وجهاء الطائفة ونذر النذور الرهبانية في دير الصابغ في ١٤ ايلول سنة ١٧٣٤ ثم سيم شماساً انجيلياً في دير النبي اشعيا من يد السيد مكسيموس حكيم في ٢ ت ٢ سنة ١٧٣٥ وفي اواخر سنة ١٧٣٦ رقاه درجة الكهنوت السيد اثناسيوس دهان مطران بيروت في دير الصابغ اخيراً في ١ ت ٢ سنة ١٧٦١ أُقيم رئيساً عاماً على الرهبان الشويريين القانونيين بالصوت الحي بدون اقتراع قانوني

وقد ذكرت عنه التواريخ الرهبانية اعمالاً حميدة نخص بالذكر ابتياعه لارض واسعة تعلو مزرعة كفرشيما شاد فيها ديراً رحباً على اسم القديس انطونيوس الكبير ودُعي القرقفة . ثم وسع ارزاق دير القديس جاورجيوس الشير . وفي سنة ١٧٦٤ اخذ ارضاً في مزرعة كفرتيه ابتنى فيها ديراً كبيراً جعله تحت حماية القديس ديمتريوس العظيم . اخيراً في ١٧٦٦ شادَ ديراً لسكنى الراهبات القانونيات في قرية بقاع توتا ابتناه من مال المقدسي ابراهيم خير الدمشقي وجعله تحت حماية سيدة النياح . ولقد اسعدنا الحظ فحصلنا على التاريخ الذي وضعه صاحب الترجمة فوق باب كنيسة الدير وهو:

أتى بالخير خيرٌ من دمشقٍ لسيدة النياح أقام ديرا
أردتُ كتابة التاريخ يوماً فقلتُ جزاكَ ابراهيمَ خيرا

١٧٦٦

وفي ٧ نيسان ١٧٧٤ رقد بالرب ودُفن في دير الصابغ

*

٦ ﴿ الخوري بولس كسّار الدمشقي ﴾ هو عيسى بن نعمة كسّار ولد في مدينة الشام سنة ١٧١٣ ودخل الرهبانية سنة ١٧٣٦ ثم في سنة ١٧٥٠ أُقيم رئيساً خاصاً على دير الملاك ميخائيل في زوق ميكائيل وانتُخب مدبراً اول سنة ١٧٧٣ وانتُدب ابا

عاماً على الرهبانية سنة ١٧٧٤ وانتقل الى رحمة ربه في ١١ ت ١ ١٧٩٠ بميتةٍ صالحة في دير الملاك ميخائيل

*

٧ ﴿ الخوري ثاوفانوس القاضي الحلبي ﴾ هو يوسف بن نعمة القاضي ولد في مدينة حلب سنة ١٧٤١ ودخل الرهبانية في السنة الثامنة عشرة من عمرهِ (١٧٥٩) وانتُدب رئيساً عاماً في ٥ اذار ١٧٨٥ فاجتهدَ في اصلاح شؤون الرهبانية ونجاح ارزاقها الى ان توفاهُ الله في ١٩ نيسان ١٨٠٠ في دير الصابغ. وكان رحمهُ الله حكيماً ذا نجابة طبيعيّة عظيمة

*

٨ ﴿ الخوري اغناطيوس ارقش الحلبي ﴾ هو بولس بن نعمة ارقش وُلد في مدينة حلب سنة ١٧٣٩ ونذرَ النذور الرهبانية سنة ١٧٦٠ ثم في ٥ اذار ١٧٨٥ انتُخبَ مدبرًا اول للرهبانية وفي ٤ ت ٢ سنة ١٧٨٧ أُقيم رئيساً عاماً ودُعي اغناطيوس. وفي سنة ١٧٨٧ قدَّم عرضاً للسيد البطريرك ثاوضوسيوس دهان واستأذنهُ بسماح اكل اللحم في الرهبانية لسبب كثرة الامراض التي كانت قد استحوذت على الرهبان والراهبات فأَذنَ لهُ بموجب منشور عام اصدرهُ في ٦ ت ٢ من السنة نفسها. وقد تغمَّدهُ الله برحمتهِ في ١٢ ت ١ ١٨١٧ في دير الملاك ميخائيل

*

٩ ﴿ الخوري باسيليوس عرقتنجي ﴾ هو جبرائيل بن نعمة عرقتنجي وُلد في مدينة حلب سنة ١٧٧٠ ودخل الرهبانية في ١١ ت ٢ ١٧٨٨ ودُعي شكرالله. ثمَّ نذرَ النذور الاحتفالية في ٢٠ ت ١ ١٧٩٠ وأُقيم رئيساً عاماً على الرهبانية سنة ١٨١٤ فاصلحَ شؤونها بكل اجتهادٍ وبعد سنتين (١٨١٦) تعيَّن من المجمع المقدَّس لمتروبوليتية حلب فسامهُ السيد اغناطيوس قطان في ١٥ ت ١ من السنة عينها وشرع يعلّم ويعظ النفوس بغيرة الى ان توفاهُ الله في غرة شهر ايار ١٨٢٣ في دير الملاك ميخائيل

*

١٠ ﴿ الخوري انطون شابوري الحلبي ﴾ ولد في مدينة حلب سنة ١٧٤٣ ودخل الرهبانية مع اخيهِ ديمتري في ٨ تموز ١٧٦١ ونذر النذور الاحتفالية في ٢٣ ت ٢ سنة

١٧٦٣ ودُعي اكاكيوس. وفي سنة ١٧٧٠ سامهُ كاهناً السيد باسيليوس جلفاف مطران بيروت. وانتُخب رئيساً عاماً في ٢٠ ت ٢ سنة ١٨١٦ فعادَ الى اسمهِ الاول غير ان الرب لم يطِل في ايامهِ بل دعاهُ الى نعيمهِ بعد بضعة اشهر في ١ آب ١٨١٧ في دير الملاك ميخائيل

*

١١ ﴿ الخوري ميخائيل تركمان الحلبي ﴾ ولد في مدينة حلب سنة ١٧٧٠ ودخل الرهبانية سنة ١٧٨٨ ثمَّ نذرَ النذور الاحتفالية سنة ١٧٩٠ ولم يرتقِ الى درجة الكهنوت حتى سنة ١٨١١ في ١ ت ٢ . وانتُدب رئيساً عاماً في السنة عينها في ١٣ ت ٢ وانتقل الى رحمة خالقهِ سنة ١٨٢٧ بدير الملاك ميخائيل. وفي مدة رئاستهِ العامّة في ٧ نيسان سنة ١٨٢٣ جرت قسمة الرهبانية الحناوية الى حلبية وبلدية وهي القسمة الاولى الّا انها لم تستمرّ سوى ثلاثة اشهر وبسعي الامير بشير المالطي رجعت الرهبانية الى حالتها الاولى

*

١٢ ﴿ الخوري باسيليوس ارقش الحلبي ﴾ هو ميخائيل بن الياس ارقش ولد في مدينة حلب سنة ١٧٧١ واتى الرهبانية سنة ١٧٩٦ ثمَّ نذرَ نذورهُ الاحتفالية في ٦ ك ١ ١٧٩٧ وسُمّي مرتينوس. فلمَّا قُسمت الرهبانية وكل فئة تسلّمت ما يخصُّها من الاديرة والاراضي انتخبت جماعة الحلبيين صاحبَ الترجمة رئيساً عاماً عليها ودُعي باسيليوس وكان ذلك في ١٥ ايار سنة ١٨٢٣ في دير الملاك ميخائيل. كذلك جماعةُ البَلديين انتخَبت الخوري اغناطيوس الجامد رئيساً عاماً. اخيراً في ١٢ تموز من السنة عينها وقع الاتفاقُ بين الفريقين فاستمرَّ الخوري باسيليوس في وظيفتهِ حتى ١ آب ١٨٢٩ وحضرَ القسمة الثانية التي تمت في ١ ت ٢ من السنة نفسها وقد توفاهُ الله في دير القديس جاورجيوس الشير سنة ١٨٣٨

*

١٣ ﴿ الخوري استفانوس عُبَيد الصَفَدي ﴾ هو جبرائيل عُبَيد ولد سنة ١٧٨٠ في قرية تُدعى صَفَد بجانب عكا ودخل الرهبانية في ٢٥ تموز ١٧٩٧ ثمَّ انتُخبَ رئيساً عاماً على الرهبانية بدير الصابغ في ٣ ت ٢ ١٨٢٣(؟) ودُعي اثناسيوس. اخيراً سامهُ السيد

البطريرك اغناطيوس قطان مطرانًا على بعلبك بدير الملاك ميخائيل ثمَّ انتقل الى رحمة خالقهِ سنة ١٨٥٠ ودُفن في كنيستهِ الكاتدرانية

*

١٤ ﴿ الخوري اندراوس مقرّي الحلبي ﴾ هو جرجس ابن الخوري يوحنا المقرّي ولدَ في مدينة حلب سنة ١٧٥٧ واتى الرهبانية سنة ١٧٧٤ ونذر النذور الرهبانية سنة ١٧٧٦ اخيرًا انتُخبَ رئيسًا عامًا في ١ ت ٢ ١٨٢٦ وفي غرة ت ١ ١٨٢٩ امرَ بالاجتماع لاجل عمل المجمع العام فحينئذٍ تكاشف الحلبيون والبلديون ما في ضمائرهم وتمَّ الانقسام الثاني والاخير بالرضى المتبادل فبقي صاحب الترجمة رئيسًا عامًا على الحلبيين الى ان توفاهُ الله في ٥ ت ٢ ١٨٢٩ متسلحًا بالاسرار الالهية فدُفنَ بدير الملاك ميخائيل في الزوق (ستأتي البقيَّة)

مرصد ستونيهرست

نظر للاب دي ڤراجيل اليسوعي

﴿ تاريخ المرصد ﴾ لا يسعنا الآن ان نُسهب الكلام في مدرسة ستونيهرست (Stonyhurst) لئلَّا نخرج عن الموضوع فحسبنا القول انهُ في سنة ١٥٩٢ اشتدَّت وطأة الاضطهاد على الكاثوليك في انكلترة ولذا بنى الآباء اليسوعيون مدرسة في سانت أومر (S^t-Omer) ثم انتقلوا منها (١٧٦٢) الى مدينة بروج (Bruges). ولمَّا أُلغيت جمعيتهم (١٧٧٣) اخذ سيادة اسقف الابرشية على عاتقهِ ابقاءَهم حيث كانوا ليثابروا على اعمالهم الخيريَّة. وفي سنة ١٧٩٤ دارت رحى الحرب بين فرنسة والدول المجاورة وزحفت الجيوش على بلجكة فرَّ امامها لفيف الآباء والطلبة وأمّوا ستونيهرست في لنكاشير من اعمال انكلترة وهناك استقبلهم بكل حفاوةٍ السير توما ولد (Weld) احد تلامذة مدرسة بروج الاقدمين ووهبهم عقارًا ورثهُ من اسرة شيربرن. وفي بادئ بدء قامت المصاعب في وجه الآباء لكنَّ الرب شدَّ ازرهم فنالت مدرستهم الحديثة بعض النجاح سيَّما منذ سنة ١٨٣٠. ولمَّا تأسَّست كليَّة لندن وفتحت ابوابها للطلبة وتعهَّدت ان تمنح الالقاب لمن تجدهُ اهلًا لها عزمت مدرسة ستونيهرست الأكارم

تلامذتها من هذه المنافع فحسَّنت نظامها وبنت مرصدًا على مقربة منها . وقد قام بهذه المهمَّة السير تواك (Tuack) واعانهُ بعمله الاب شارل ارفين (Irvine) والمرصد هذا عبارة عن قاعة مثمَّنة الزوايا يحفُّ بها جناحان وتعلوهما قبَّة مستديرة الشكل وُضعت فيها آلة رصد الكواكب . فكان ذلك خطوة اولى . وفي سنة ١٨٤٥ توثق الآباء فابتاعوا بعض الآلات اللازمة وما عتمَّ ان باشر الاب ماك كان (Mac Cann) بادارة شؤون المرصد ثم خلفهُ الاب يوسف هويل (Howel) . ولمَّا جرت في ايطالية حوادث سنة ١٨٤٨ وساد الاضطراب يمَّم الابوان الشهيران سكي وڤيكو مدرسة ستونيهرست فبذلا وسعهما في اصلاح معاهدها العلميَّة . وتعاقب في تدبير المرصد المذكور عدَّة آباء نخصُّ منهم بالذكر الاب ولد فانَّهُ وسَّع نطاق اعماله واحرز لهُ شهرة طائرة فاهداهُ السير ادوارد سابين احد اعضاء الجمعيَّة العلميَّة الملكيَّة في لندن آلات ثمينة للوقوف على مجاري الكهرباء في الكرة الارضيَّة . وفي سنة ١٨٦٠ ترك الاب ولد مدرسة ستونيهرست فقام مقامهُ الاب والتر سيدغريڤس (Walter Sidgreaves) وهو الذي اصدر اول نشرة في مجاري الكهرباء . فادخلهُ السير سابين في سلك الجمعيَّة العلميَّة الملكيَّة في لندن وسألهُ اسعافًا ليتمكَّن من مراقبة هذه المجاري بدون انقطاع . فأجيب سؤلهُ وتواردت على المرصد الآلات المسجّلة لمجرى الكهرباء في الارض . وفي تلك الاثناء الحَّ السير سابين على غرفة التجارة فاتَّخذت ستونيهرست كاحد المراصد السبع الرئيسيَّة التي ترجع اليها في امورها وقدَّمت الادوات اللازمة لهذا الغرض . واذ ذاك ابتاع الآباء نظَّارة دقيقة الصنع قطر عدسيتها ٢٠ سنتيمترًا فاجمع العلماء المبرَّزون ان هذه النظَّارة آية في جنسها اللهمَّ اذا أُصلح بعض الخلل في تركيب عدسيتها الناتئة

ممَّا تقدَّم يرى القرَّاء الكرام ان الاصلاحات كانت تتعاقب في مرصد ستونيهرست على تعاقب السنين . ولكنَّ مدراءهُ لم يكتفوا بهما بل انهم لاحظوا ان ظرف النظَّارة المصاغ من الفولاذ لا بد من ابعاده عن الآلات المختصَّة بمجاري الكهرباء . فعزموا والحالة هذه على توسيع ارجاء المرصد لتقوم كل آلة بمهمَّتها دون اذى غيرها

﴿ نظام المرصد ﴾ قام البناء الجديد في حديقة فسيحة تعلوهُ قبَّة من الفولاذ وُضعت فيها النظَّارة المشار اليها آنفًا وخُصص برصد الكواكب وعُيّن المرصد القديم

لمراقبة الاعصار والحوادث الجوية وعلى مقربة منه شُيّدت حجرة تحت الارض لبحث مجاري الكهرباء. فاصبح مرصد ستونيهرست كامل العدة

ومن ذاك العهد لم يزل يتابع اعماله بدقة واحكام وغرفة التجارة تمدّه بالمساعدة لاعتبارها له مرصدًا رئيسيًا لكنها الغت هذه المساعدة منذ بضع سنوات فاخذت مدرسة ستونيهرست على نفقتها تأدية النفقات اللازمة لهذا المشروع الخطير

وفي سنة ١٨٩٨ أُنيطت ادارة المرصد بالاب برّي (Perry) واليك ملخص حياة هذا العالم المبرز

ولد في مدينة لندن في ٢٦ آب سنة ١٨٣٨ وتلقَّن العلوم في مدرسة دُوي (Douai) واظهر ميلًا فطريًّا للرياضيات فعلّق عليه اساتذتهُ آمالًا عظيمة وبما انهُ كان مرشحًا لدرجة الكهنوت أمَّ رومة ودخل المدرسة المختصة بابناء جلدتهِ وباشر الدروس الفلسفية فاتفق انهُ تصفح يومًا حياة القديس اغناطيوس واذ ذاك شعر بصوت خفيّ يدعوه لينضم الى اليسوعيين فانتظم في سلك رهبانيتهم في ١٤ ت ٢ سنة ١٨٥٣ ثمَّ درس البلاغة والفلسفة في سانت اشول (S^t-Acheul) وفي ستونيهرست. اخيرًا ارسلهُ الرؤساء الى لندن ومنها الى باريس ليتقن الرياضيات ولقد اسعده الحظ في باريس فتتلمذ لاساتذة طائري الشهرة كبرتران وديلوني وكوشي. ثمَّ رجع الى ستونيهرست ودرّس فيها العلوم الطبيعية والحساب وكُلّف بادارة المرصد فقام بعبء هذه الاعمال ثلاث سنوات وبعدئذٍ تفرَّغ لمطالعة اللاهوت في سان بنوس (S^t-Beuno's) وارتسم كاهنًا في ٢٣ ايلول سنة ١٨٦٦ وبعدما مضّى بضعة اشهر في مدينة لان (Laon) من اعمال فرنسة عاد الى ستونيهرست مديرًا للمرصد. وفي سنة ١٨٦٨ تجوَّل في غربي فرنسة وشرقيها وجاب بلاد بلجكة لمراقبة المجاري الكهربائية. ثمَّ ارسلتهُ الحكومة الانكليزية (١٨٧٠) الى مدينة قادس (Cadix) ليرصد فيها خسوف القمر. وفي سنة ١٨٧٤ اختارته ايضًا ليكون احد اعضاء اللجنة التي بعثت بها الى جزيرة كيرغيلن (Kerguelen) في جنوبي افريقية لمراقبة مرور الزهرة على جرم الشمس. وفي سفرته هذه اجرى اختبارات جمّة يتعلق معظمها بالحوادث الجويّة ومجاري الكهرباء. واوعزت اليه في اثناء سنة ١٨٨٢ ان يذهب صحبة الاب سيدغريفس الى جزيرة مدكسكر ليطَّلع ثانيةً على مرور الزهرة امام إطار الشمس ثم سافر سنة ١٨٨٦

الى كارياكو (Carriacau) في جزائر الانتيل ليفحص هناك كسوف الشمس ايضاً وفي سنة ١٨٨٧ يمّم مدينة بوغوست على نهر الطونه لمثل هذه المهمّة . اخيراً الحّت عليه حكومة بلاده بان يتوجه الى شواطئ غويانة (Guyane) ليرصد رصداً محكماً كسوف الشمس ويضع تقريراً مدقّقاً على الطوارئ الفلكيّة فاجابها الى سؤلها وامتطى متن البحر ولكن داء الزُّحار اعتراه فاودى بحياته الثمينة فقضى نحبهُ على سفينته في ٢٧ ك ١ سنة ١٨٨٩ ودُفن في ديميرا (Demerara)

كان رحمهُ الله سهل الجانب لين العريكة بشوشاً في السرّاء والضرّاء يثابر على الشغل مهما وجد فيه من النصب والخطاط القوى

اما مرصد ستونيهرست فانهُ بلغ الغاية القصوى من النجاح والشهرة تحت ادارة هذا الرجل العلاّمة فاصبحت اعمالهُ مرجعاً للفلكيين سيما فيما يختص بالبُقَع التي تشاهد في جرم الشمس لان الاب المذكور كان يرصدها كل يوم ويمعن النظر بالوانها ويتّخذ رسومها فاتى مجموع الرسوم دليلاً على هيئة هذه البُقع ودورانها . ولم يكتفِ الاب بري بما سبق بل انهُ واصل درس الاب سكي للطيف الشمسي فكلّل النجاح مسعاهُ . ولذا اقرّ الجميع ان مرصد ستونيهرست في ايامه خطا خطوة عظيمة في طريق التقدم والكمال

ولمّا انتقل الى رحمته تعالى قام مقامهُ الاب سيدغريفس فاخذ على عاتقه مهمّة درس طيف الكواكب وحقّق امال العلماء فيه . وفي سنة ١٨٩٠ عُقد مؤتمر عظيم في لندن اجلالاً وتذكاراً للاب بري . فنهض سيادة المطران ڤون خطيباً بالجمع واقترح على الحاضرين ان يقدّموا لمرصد ستونيهرست هبة تكون بمثابة ذكر لرجل العلم المتوفى وهذه الهبة عبارة عن عدسية قيّمة كبيرة الحجم تصلح لاعظم نظّارة للرصد فصادق الكل على هذا الطلب وكلّفوا السير هوارد غروب (Grubb) بصبّ العدسيّة وجلائها فكان الفراغ من عملها سنة ١٨٩٣ وهي آية في بابها قطرها ٣٨ سنتيمتراً وثمنها ١٦٢٥٠ فرنكاً وما زالت ولم تزل تؤدّي خدماً جمّة وبواسطتها تمكّن الاب سيدغريفس من اخذ رسم الاجرام الفلكيّة بدقة ووضاءة

﴿ أبنية المرصد وآلاتهُ ﴾ شُيّدت هذه الابنية في حديقة جنوبي شرقي مدرسة ستونيهرست وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام خُصّص احدها بدرس الحوادث الجويّة

والثاني بالعلوم الفلكيَّة والاخير بمراقبة مجاري الكهرباء في الارض. والقسم الاول عبارة عن قاعة رحبة يلجها النور من اربع نوافذ وتعلوها اسطوانة من زجاج وقد وُضعت فوق هذه الاسطوانة آلات تنبئ عن مجرى الرياح وشدة هبوبها . وتحف بهذه القاعة اربعة اجنحة على شكل صليب أُقيمت في احدها موازين الحرّ والقرّ واختصّ جناحان بنظَّارة لاحكام رصد ساعات الظهر ونصف الليل . وتمتد امام هذا البناء فسحة قامت على جوانبها بعض الملاجئ للذين يعانون باشغال المرصد ولما يستعملونهُ من الادوات . ولقد كثر عدد هذه الآلات فلا يسعنا الآن ان نأتي بتعدادها ووصف اتقانها فحسبنا ذكر بعضها . منها آلة مسجلة لثقل الهواء واخرى لقياس وطأة الحر . واما هذه فانَّها تصوّر كلما يحدث من تقلبات الحرارة باستجلابها شعاعاً نيّراً تقرّ بهِ على وجه عامود الزيبق . ومنها ايضاً مقياس للمطر يطرح من تلقاء ذاتهِ ما يسقط فيهِ من الماء بعد وزنهِ وتسجيلهِ . الخ

وعلى مقربةٍ من الفسحة التي ذكرناها آنفاً منحدر تجد فيه باباً يؤدّي الى سرب ومنهُ الى قاعة شُيّدت تحت الارض واحتوت على الآلات المسجلة لتقلُّبات مجاري الكهرباء وقواها . وبجانب هذه القاعة حجرة تقاس فيها مرةً في الشهر قوة المجاري الثابتة . وكانت بين هذه الآلات ابرة مناطيسيَّة تُرى الآن في متحف المرصد قد استعملها الاب پرّي مدة حياتهِ في الاختبارات والاقيسة التي عانى بها منذ سنة ١٨٦٣ فقامت مقامها ابرة جديدة مُحكمة الصنع اهدتها الى المرصد الجمعيَّة الملكيَّة في لندن

وعلى جنوبي غربي الحديقة بناء فخيم واسع الارجاء تعلوه قبَّة مستديرة الشكل وُضعت فيها آلة رصد الكواكب وهي كما سبق لنا القول عبارة عن نظَّارة عظيمة دقيقة التركيب رغماً عن ضخامتها وثقلها . وفي سنة ١٩٠٣ اتحف السير كروس (Cross) مرصد ستونيهرست بهديَّة ثمينة ألا وهي مجموع آلاتٍ عزَّ مثيلها . منها نظَّارة قطر عدسيتها ١٠ سنتيمترات تصوّر كل ما يقع تحت مداها وقد اتُّخذت لرصد الطيف الشمسي . ومنها ايضاً نظَّارة قطرها ١٢ سنتيمتراً ثم آلة تنبئ عن ارتفاع الكواكب وسمتها ونظَّارتان لتحقيق ساعات الظهر ونصف الليل وساعتان تدلَّان على سير النجوم وسرعتها ومقياس للزمان وآلة لفحص طيف الشمس وغير ذلك مما يطول تعدادهُ

❊ اختراعات المرصد واعمالهُ ❊ ما تقدَّم يظهر جليًّا ان مدار اعمال المرصد هو خاصةً مراقبة الكواكب والحوادث الجويَّة ومجاري الكهرباء في كرة الارض وكل سنة تصدر ادارتهُ كتابًا تذكر فيه ما قدَّرها الرب على الاتيان بهِ في هذا الصدد. واما الابحاث في مجاري الكهرباء فقد باشر بهـا الاب وِلد منذ سنة ١٨٥٨ واعتنى الاب سيدغريفس (١٨٦٣) برصد تقلباتهـا . ولم تكن هذه العلوم اوانئذٍ مطروقةً كما هي الآن فبرهن مدراء مرصد ستونيهرست عن مهارة عظيمة في الكشف عنها. وقد استعمل الاب پرّي آلاتٍ تسجّـل خلاصة مراقباتهِ اليوميَّة فتوصَّل منذ سنة ١٨٨٣ الى نشر ابحاثهِ في هذا الموضوع واظهار العلاقة التامَّة بين المجاري الكهربائيَّة وكثيرٍ من الطوارئ التي تحدث في كرة الارض واليـك بمثل : تشتدّ وطأة الحرّ حينًا تكثر عددًا وتكبر حجمًا البقع التي تظهر في جرم الشمس ثم ان الزلازل وهيجان البراكين وكمّية المطر تختلف حسب اختلاف مجـاري الكهرباء وهلمّ جرًّا . وفي مسائل شتّى تمكن الاب پرّي من وضع مبادئ راهنة اتّخذها اعلام العلماء كقاعدة لابحاثهم واختراعاتهم

وممَّا زاد مرصد ستونيهرست شهرةً هي اسفار الابوين پرّي وسيدغريفس. نعم ان الفلكيّين اطّلعوا على الخطوط التي تتبعها المجاري الكهربائيَّة المتّقدة قوىً واطرافًا وانحدارًا لكنَّ هذه المجاري طالما تغيّر سيرها فوجب فحصهـا فحصًا مدققًا في اماكن متعدّدة لينجلي ما كان غامضًا من امرهـا ولذا في اثناء سنة ١٨٦٨ ذهب الابوان پرّي وسيدغريفس الى غربي فرنسة واجريا الاختبارات في ١٥ مدينة ثمَّ قابلا خلاصة ابحاثهما ووضعا تقريرًا في تقلّبات الكهرباء في مجر الجيل الماضي ودرسًا لجريها فكان لعملهما صدى عجب واستحسان في عالم العلم

وفي السنة التالية تجوّل الابوان المذكوران في شرقي فرنسة وزارا ٢١ مدينة. وفي سنة ١٨٧١ قصد الاب پرّي بلجكة وطاف في ٢٠ مدينة ولا شاغل يشغلهُ الَّا الفحص المدقق في مجاري الكهرباء . فما نجم عن هذه الابحاث اصلح خطأ العلماء الاقدمين في هذا الموضوع واظهر قوام المجاري في هذه البلدان

المعنا قبلًا ان الحكومة الانكليزيَّة ارسلت مرارًا الاب پرّي الى امصار مختلفة وكلَّفتهُ برصد الطوارئ الجويَّة والفلكيَّة اما هو فكان ينتهز مثل هذه الفرص ليقيس قوى مجاري الكهرباء. وقد تمَّ لهُ ذلك في راس الرجاء وبومباي وبورت سعيد ومالطة

وبالرمو وبرومية ونابولي وفلورنسة ومقاطعة كندة وغيرها وكتب فيها مقالات نفيسة

انحصرت اشغال المرصد الآية الى معرفة كنه الكواكب وتركيبها في المباحث عن جرم الشمس والوانه وفي رصد طيف النجوم . ان الله عزّ وجلّ وهب الاب پري ذكاء عظيماً وارادة تذلّل المصاعب وهذا ما حملهُ على التنقيب في علم الكواكب فدقّق الفحص في النجوم المذنّبات وفي اقمار المشتري وفي مرور الزهرة على إطار الشمس وفي بعض السيّارات المكتشفة حديثاً لكنّهُ قضى معظم حياته وصرف همّهُ في درس جرم الشمس . وأخذ على نفسه مراقبة هذا الكوكب النيّر ساعة ساعة واامعان النظر في تقلّباته واسنته وبُقعه ومواضعه الاكثر ضياء وهيئته ودورانه . وفي بادئ بدءٍ كان يرسم بيده صور ما يرصدهُ بالنظّارات لكنّهُ رأى ذلك غير وافٍ بالمرام فلجأ الى التصوير الشمسي ولهُ فيه طرائق عجيبة فتوصّل الى تحقيق ما كان العلماء يترجّمونهُ بدون سندٍ. وقد حُفظ مجموع هذه الصور في مدرسة ستونيهرست ونشر جزءًا منهُ مدراء المرصد في المقالات التي ارسلوها الى المحافل الفلكيّة

وكان الاب پري عزم ان يطبع كتاباً في خلاصة ابحاثه لمجاري الكهرباء ورصده لجرم الشمس وتقلّباته يُظهر ما بين هذه وتلك من الاتفاق والتناسب فحالت المنيّة دون قصده . فلما خلفهُ الاب سيدغريفس ألّف الكتاب المذكور ونشرهُ وختمهُ قائلاً : « ان الاتحاد لعظيم بين كثرة بُقع الشمس وكبرها وبين الاضطراب الذي يحدث في مجاري الكهرباء وان لهذين الامرين علّة وحيدة ومصدر قوى واحد »

اما الاب سيدغريفس فانهُ انصبّ على درس طيف الشمس ففحصهُ قسماً قسماً ودقّق النظر ببُقعه وامكنته الاكثر ضياء وتمكّن من تصويرها بوضاءة ثم انهُ اخذ بمراقبة طيف الكواكب وكتب في هذه المسائل نبذاً خطيرة كان لها الوقع العظيم عند الفلكيين .

لا تخفى على احد فوائد هذه الابحاث وما تجلب للانسان من لذة العقل لانها على مسافة ملايين من الاميال تُبيح باسرار كنه الكواكب. فان مكان خطوط الطيف ينبئ عن طبيعة المواد المتّقدة في الكوكب وضياءها يُشير على ارتفاع درجة الحرارة فيه . وفي هذه السنين الاخيرة وجّه الفلكيون جلّ اهتمامهم الى نجوم اكتُشفت حديثاً فطالما عاينوا فجأةً وهم في مراصدهم ظهور نجم في القبّة الزرقاء حيث لم يكن

لـهُ وجود او أثر ثم اخذ هذا النجم يزيد جلاء ووميضاً فيبقى زمناً على هذه الحالة اخيرًا يتوارى عن العيان لانهُ اصبح جرمًا بدون حرارة او تحوَّل الى بخار فاضمحلَّ . ولربَّما رجع هذا النجم الى لمانهِ الاول ويتأتَّى ذلك من سرعة الدوران او من اصطدام بجرم آخر . وبين هذه النجوم الحديثة اثنان دُعيا باسم « نوفا » (Les deux Nova) فنيهما وضع الاب سيدغريفس ابحاثًا ضافية الاذيال وكشف عن مكنون حقيقتهما . ثم انهُ رصد رصدًا محكمًا النجم الثاني من النسر الواقع وكتب فيـهِ مقالات زيَّنها بكثير من الصور الشمسيَّة فأتت كلها مؤيدة لرأيهِ

﴿ خاتمة ﴾ لم يزل مرصد ستونيهرست منذ انشائهِ يخطو نحو الكمال ويحتق آمال العلماء فيـهِ فاصبح الآن من اعظم المعاهد العلميَّة في انكلترة لان ابحاثهُ في مجاري الكهرباء وكنه النجوم اضحت دستورًا للفلكيين . نعم ان شهرة كهذه احرزها لهُ رجال عظام كالآباء برّي وسيدغريفس وكورتي حتى ان الحكومة الانكليزيَّة كلَّفتهم مرارًا بمهامَّ خطيرة ونظمتهم في سلك محافلها لكنَّ كثيرين من اخوتهم في الرهبانيَّة عضدوهم باشغالهم وآزروهم بكدّ ونصب مع انهم لم يتفرَّغوا لاعمال الرصد فكانوا اساتذة في المدرسة يعلّمون الطبيعيات

وقد ساعد على شهرة مرصد ستونيهرست علماء كثيرون أمُّوهُ فدرسوا فيـهِ ووقفوا على اختراعاته ثم تفرَّقوا في انحاء المعمور وشيَّدوا مراصد فكلَّل النجاح مساعيهم فاصبح مجدهم مجدًا للمرصد الذي لقَّنهم العلوم الفلكيَّة

قيمة الحياة

لحضرة الخوري الفاضل عمنوئيل فضل

ان كان امرٌ يجب تحويل الانظار اليهِ والاهتمام بهِ والبحث عنهُ فهو بدون ريب حياتنا على الارض . فما هي هذه الحياة التي نقضيها وما الفائدة منها وهل لها معنًى ؟ ليس المراد من هذا الفحص ان نعرف فيما اذا كان يوجد تعساء في العالم او سعداء . فكلنا نعلم ان الناس ليسوا من هذا القبيل سواء فمنهم من اناخ عليهم الدهر بكلكلهِ

وضربهم بنابه ومنهم من خدمهم السعد وصفا لهم الزمان ولكن هل للحياة ما يجعلها محبوبة رغماً عما تجرّه غالباً وراءها من جحافل الشقاء ؟

شأن الحياة عالٍ وقيمتها ثابتة لا تجحف بقدرها ولا تخفف من ثمنها لا الطوارئ ولا تقلّبات الدهر وكوارث الايام وهذا واضحٌ من قولنا : الحياة امر عظيم ومقدّس. لحقيق ان النجاح يرفعها ويهونها انما المصيبة لا تمسها بل طالما تكسوها رونقاً وتعطيها بهاء ومجداً لا يعطيهما الفوز والنجاح . غير ان هذا الاعتقاد العمومي باهميّة الحياة وخطرها ممن يدري انهُ ليس باطلاً . فهل عندنا ما يؤيّدهُ هل من اساس لذلك ام حكمنا هذا على الحياة يسقط عند الفحص والنقد ويضمحل كما يضمحلّ الظلام امام النور ؟

اجل لا بد من برهان وكل قول ما لم يكن مؤيداً بالحجج الراهنة فهو غير كافٍ. انا نرى رجالاً عظاماً كثيرين نكروا اهميّة الحياة واعاروا بصيرتهم واستخدموا اقلامهم لتحقيرها حتّى الكتاب المقدس قد اثبت بطلانها وحمل الناس على رذلها والزهد فيها . وبرهن القديسون بافعالهم واقوالهم على عدم اكتراثهم بها

لكنّ هذا الاحتقار ما كان الّا جزئياً واقعاً فقط على خيرات هذه الدنيا واماً وراء هذه الحياة الزمنيّة فكان يلوح لهم عالمٌ غير قابل الفناء اليه طمحت انظارهم يمحو بجماله وبهائه قباحة الوقت الحاضر

نعم ان الحياة اذا اخذناها بحدّ ذاتها لا تُمَلّ على ما قال ابو الطيّب:

وإذا الشيخ قال افٍّ فما مـــلّ حياةً وانّما الضعفَ ملّا

فهي مع ذلك باطلة وحقيرة ولكن اذا كان نظرنا اليها مقروناً بنظرنا الى الحياة الابدية التي تعقبها فعندئذٍ الافعال الاقل اهميّة والاكثر حدوثاً تُكسى رونقاً جديداً والحياة تصبح فوق كل ثمن . انّما هذا لا يصح الّا عند المعتقدين بالله وبالآخرة الذين ابصار ايمانهم خرقت حجب الطبيعة وفاتت تخوم الزمان والمكان الى عالم الابديّة والأنهاية . ولكننا نريد ان نعرف هل للحياة قيمة في مذهب الوضعيّين هل لها من اعتبار عندهم وعلى اي شيءٍ بُني اعتبارهم . فانهم ينكرون الحق سبحانهُ وتعالى وينفون وجود آخرة يُنصَب فيها ميزان العدل ويعقب النور الظلام . اجل للحياة عند الوضعيين معنىً وقيمة وان تكن زمنية بدأتها المهد ونهايتها القبر

وعلى ما يستندون في قولهم وبما جعلوا قيمة هذه الحياة التي هي غالباً مكتنفة بالمصاب وما هو الامر الذي وعدوا به ثواباً للفضيلة ؟

يعلم القرّاء الكرام ان مسألة اهمية الحياة متعلقة كل التعلق بمسألة آداب الحياة اي ان عظمة الانسان قائمة في رضوخه لصوت الحق والواجب ومجده الاثيل بانقياده لوحي والهامات نفسه الشريفة القديمة . وهذا لا خلاف فيه بيننا والوضعيين وقد قال احدهم : « اني وان كنت جحدت اعتقادات صباي فلا ازال اعتبر وافخم كل ما هو شريف وعالٍ فيها فاليوم كأس التذ بالرضوخ لصوت الواجب وكأس اعطي افعال الرحمة حقّها وافضّل واوآثر كل فعل نبيل على ما هو دونهُ » . واضاف جورج اليو قائلاً : « فهما طرأ على الاديان وكيف كان مصيرها فالقداسة لا تزال جميلة والخطيئة ممقوتة » . اذاً نتفق مع الوضعيين ان شرف الحياة وشأنها يقومان بحسن الآداب . انما نسألهم : مَن الآمر بهذه الآداب اذا نفينا الاعتقاد بالله العادل والآخرة وهل من سبيل يقود الى حفظها رغماً عما نراه من غرور هذا العالم ؟ فيجيب الوضعيون :

نعم يوجد سبيل الى حفظها ولو زال اعتقادنا بربّ مجازٍ وبآخرة . واولئك الذين يفتكرون بان الآداب ترتخي او تسقط بسقوط الاديان فهم تنقصهم المعرفة وقليلو الاختبار . ففلسفة التاريخ ودرس الماضي يُبيّنان لنا على ان هذا الخوف ليس الّا وهماً . ولعمري لكل امرئ من دهره ما تعوّدا . . . فمن تعوّد على اعتبار الحياة سنداً على اعتقاده بخالق ديّان مثيب ومعاقب يظنّ ان قيمتها تزول بزوال اعتقاده هكذا غير المجرّب والمحنك من الدهر يظن ان ادنى مصيبة تدمّر البلاد ويهلع عند حاول كل حادث وبليّة

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

بعكس ذلك من عجم الايام وصارع العناصر وقاس الاهوال فهذا لا يضطرب جنانهُ . وهكذا من يجهل التاريخ ولم يستقرِ العصور الخالية يفتكر انهُ اذا تلاشى الدين يتلاشى معهُ كل شيء مجيد وكل امر حسن والحق يقال كم من ديانة قد سقطت قبل باد الكون معها ؟ فالقائلون بها وانصارها على انواعهم وانواعها كانوا يحسبون كما يحسب المؤمنون الآن بانهم يموتون بموتها ويقضى على الآداب من بعدها فماتت ولم يموتوا ولا الاداب

انخفضت عمّا كانت. ولا شيء مستجدّ فانّ الاعصار تتراجع وتتوارى والماضي يخبر عن الحاضر والحاضر عن المستقبل وما نقولهُ الان ونناضل عنهُ فقد اقرّ بهِ وعلّمه كثير من الرومان واليونان. هذه خلاصة مزاعم الوضعيّين

وما كل ما يقولونهُ عارٍ عن الحقيقة لكن ليس كلهُ بحق. اجل صحيح ان الاعصار تتشابه وتتراجع وان الذي كان سيكون وبمعنى اصحّ وارفع تقدر ان تقول: ما لم يكن لا يكون. ان الرجل الشيخ يحفظ كثيرًا من اذواقهِ وحركاتهِ الصبيانيّة وارفاقهُ يقولون عنهُ انهُ لم يزل كما عرفناه وعاشرناه ولم يتغيّر ولكن ما ابعد هذا الرجل كهلاً عن الرجل ذاتهِ صبيًا او فتى فان جئنا نفحص آمالهُ فانهُ كان يعلّقها على امور باد الآن رسمها من مخيلتهِ واندكت اركانها وان قابلنا بين افكارهِ في الامس وافكارهِ اليوم نجد البون عظيمًا والفرق بيّنًا فالذي كان يلذُّ لهُ لم يعد لذيذًا والذي كان عظيمًا اصبح بعينهِ سافلاً. هكذا قل عن الحوادث التاريخيَّة فاذا نظرنا الى بعضها بدون تبحُّر تظهر لنا متشابهة متوازية غير ان هذه المشابهة تُرفع حالما ندقق النظر فيها. وعلى هذا النوع هم الكتبة الاقدمون الذين ظنهم الوضعيّون اخوانًا لهم فاذا كانت اللهجة بعض الاحيان متقاربة فالمقصود لم يكن واحدًا. هل ان ما ينكرهُ الوضعيُّون والماديُّون اليوم هو ذات ما ينكرهُ الوضعيُّون الرومان او اليونان؟ فالاله الذي كفر بهِ باترون ولوكراس ليس الاله الذي نعبدهُ نحن فالديانة المسيحيَّة اعطتنا معرفة كبرى عمّا وراء الطبيعة وافهمتنا طبيعة الذات الصمد وحقيقة النفس واصل الانسان والكائنات واطلعتنا على غايتنا ودلّتنا اجلى دلالة على علاقتنا مع الله. بين ان اللاهوت الوثني ابقى ذلك معتّمًا ومختبئًا تحت ضباب كثيف لا يخرقهُ طرف ولا يشقّهُ ايمان فترق آلهتهم المصطنعة كان سر عظيم وفي كتبهم سكوت بليغ عميق شامل كل ما يجب تحديده. هذا ما عدا الاغلاط الكثيرة والخرافات العديدة التي كان من المستحيل ان لا ينتبه الى وجودها البشر عند بلوغ الافكار اشدّها والمعارف حدَّها. وعليهِ نكران القدماء لما فوق الطبيعة ليس كنكران ايَّامنا لهُ. فلنأخذ مثلاً لوكراس ونتصفّح كتاباتهِ فهو لا يقرّ بالله ولكن ما هذا الاله بالهنا الحاوي الكل والضابط الكل! او انهُ ينكر وجود بعض آلهة ويقرّ بوجود بعضها ولا نعرف ما السبب بالوقت الذي لو حكم عدلاً كان من الواجب عليه ان يكفر بهؤلاء كما كفر باولئك كذلك فانهُ لم يسلّم بخلود النفس ولكنّهُ لم ينكر الابديّة التي ينكرها الوضعيّون

العصريون فالابديَّة عند الاقدمين كانت مما يتمخض لها القلب بحيث لم يُعتقد بها إعلاء وإحياء ما بالانسان من عظيم وشريف ولكن استمرار عواطفه وملذاته الحيوانيَّة السفليَّة

فوالحالة هذه اذا كان الدين قد جفَّت حرارتهُ عند عظماء الاقدمين من اليونان والرومان او قام بعض كتبتهم يرشقون بسهام الطعن قسماً من آلهتهم او كلها من غير ان يكون لذلك اقلّ تأثير على آدابهم او حضارتهم فيجب ان نعلم ان هذا الفتور مما وقع على دين كالدين المسيحي كما وان اولئك الكتبة لم يكفروا بالاله الذي يجب لهُ وحدهُ السجود والعبادة. ثم ان الدين عند اليونان والرومان كان عبارة عن مجموع صلوات هي رقيات وقوانين ورسومات تشمل مجال الحقوق المختصة بكل عائلة وقبيلة ومدينة. وقد اصطنعوا معبوداتهم من بعض قدماء ابطالهم ورؤساء قبائلهم او من قوى الطبيعة وخصائص هذه الآلهة وصفاتها هي مناقضة كل المناقضة لخصائص وصفات الهنا المعبود الحقيقي. فلم يكن ليخطر قط على بالهم الإله الواحد مُبدع الكل بل كل إله من آلهتهم كان مخصصاً بدائرة ومنطقة صغيرة محدودة فبعضهم كان يملك على عائلة وبعضهم على قبيلة وبعضهم على مدينة والى ما سوى هذه العائلة او المدينة لم تمتدّ سلطتهم وكل إله كانت له طقوس خصوصيَّة وخدمة خصوصيون وكل مدينة او قبيلة كانت ترجو خلاصها من الإله المكرَّم عندها. كذلك العبادة الحقيقيَّة كما يُفهم بها اليوم والسجود الادبي الروحي لم يكونا معروفين عند القدماء. فالعبادة كانت قائمة باطعام الاله واهدائه كل ما يروق لحواسه كاللحوم والقطائف والخمر والاطياب والاكسية والحليّ والجواهر والمراقص والاناشيد كل هذه كانوا يقدمونها لالههم بدل المساعدة والمعونة المنتظرة منهم وكانوا يعتقدون الآلهة مشاركين لهم في كل حال في النصر والفشل والاسر والغنيمة. فهذه كانت تصوُّرات الاقدمين بالههم وبناء على هذه الاعتقادات السخيفة الباطلة فلا عجب ان تلاشت ديانة الاقدمين وجحدها بنوها غير الغافلين ولم يردّهم مع ذلك شيء عن بلوغ ما بلغوا من التقدّم والمجد امّا شتان ما بين ايماننا وايمانهم واذا كان الكفر بالدين الروماني اليوناني لا يجحف بالآداب وبصلاح الانسانية فليس كذلك الكفر بايماننا لانهُ اسّ الآداب وركنها. وقد بيَّن هذا الفرق احسن تبيان احد كتبتنا المبرزين فقال:

« ليس فقط عاطفة الدين انتعشت بالبشارة الانجيلية لكنها اكتسبت معنًى ارفع واسمى فبعد ان كان الناس من قبل يصطنعون الهتهم على مثال النفس الشريفة ويؤلهون

القوى الطبيعية فقد بدأوا باعتبار الله اجنبياً عن الانسان والكون في جوهره وذاته. فوضع اللاهوت موضعهُ اي خارج الطبيعة وفوق الطبيعة وفيما كان كل انسان يتخذ لهُ الهاً كما يشاء الى ان عُدّت الآلهة بقدر العيال والمدن ظهر الله اوانئذٍ بصورة الكائن الوحيد الحاوي الكل وربّ الكل محيي العالم بقدرتهِ الجدير وحدهُ بعبادة الانسان وسجودهِ. وعوضاً ان تكون الديانة كما كانت عند شعوب اليونان وايطالية مجموع ممارسات ربّ يردّدونها من غير ان يدركوا لها معنًى وتقاليد مُسلَّمة من جيل الى جيل حرمتُها فقط قدميّتُها فعوضاً عن كل ذلك اصبحت الديانة مجموع عقائد وكبير موضوع لايماننا فلم تعد ثَمَّ خارجيَّة بل جعلت مركزها الاوَّلي عقل الانسان ولم تعد مادة بل اصبحت روحاً فالنصرانيَّة غيَّرت طبيعة السجود وهيأتهُ والمرء لم يعد يقدّم للاله المأكل والمشرب والصلاة لم تعد رقية بل اضحت فعل ايمان وطلبة متّضعة. كذلك النفس بدّلت علاقتها مع الله وحلّ حبّ الله موضع الرعب من الآلهة. وقد احدثت النصرانيَّة اشياء اخر جديدة فلم تنحصر بعائلة دون اخرى ولم تختصّ بأمّة واحدة او بمدينة واحدة ولم تتقيَّد بفئة او طبقة من الناس لا بل من اوّل نشأتها دعت اليها كل البشريَّة فقال المسيح لتلاميذهِ: «اذهبوا وعلّموا كل الشعوب»

فليُعرض الوضعيُّون اذاً عن الاتكال على الاقدمين وليكونوا على ثقة ان اليونان والرومان لا يعرفونهم اخواناً لهم ولا هم ناكرون ما يُنكرونهُ. فلا نزال على ما كنّا عليهِ من الشكّ بصحّة دعواهم ونطلب ثانيةً اسناد مذهبهم وبيان ما عليهِ يعلّقون ذات الآداب.

الوضعيّون هم اولئك الناكرون لكل ما هو مطلق فالعقل البشري بمذهبهم هو جدير بالوصول فقط الى الحقائق الوضعيَّة الواقعة تحت الاختبار ولكنَّهُ يستحيل عليهِ حلّ المسائل غير القابلة للتحقيقات العمليَّة الوضعيَّة فمن ثمَّ كانت مسائل ما فوق الطبيعة بعرفهم او غير موجودة او اذا وُجدت فهي لا تقدر ان تكون ابداً موضوعاً للعلم لانهُ غير ممكن ان تقع تحت الحس كمسألة الجوهر والعلّة والنفس والله عزَّ وجلَّ وهلمَّ جرّاً. فلا تُحادث الوضعيّين بهذه المسائل فانَّهم يرفضونها رفضاً تامّاً

امَّا المبدأ الذي يخوّلهم نفي هذه الامور فانهُ على زعمهم مستفاد من تاريخ ارتقاء العلوم ومستند على ما يسمّيهِ الفيلسوف «كونت» امام الوضعيّين بناموس الحالات

الثلاث . فهذا الناموس يدلّنا على ان عقل الانسان جاز متابعةً بطريق نموه وتقدّمه ثلاثة اطوار . « اولاً الحالة اللاهوتيّة حيث كان العقل يشرح وقوع الحوادث والامور بوجود مشيئات علويّة مشابهة لمشيئة ذاتيّتنا الخصوصيّة وهي كل ما استنبطتهُ الاديان من الآلهة في كلّ فجّ وعند كل امّة . وثانياً حالة ما وراء الطبيعة او التي كان العقل بها يفسّر الحوادث باسنادها الى قوى او علل خفيّة مفترضة قائمة فيا وراء هذه الحوادث وهذه هي الفلسفة العقليّة . وثالثاً الحالة الوضعيّة او تلك التي يعلّل بها العقل عمّا يجري ويقع بنواميس محققة وضعيًّا وثابتة تجريبيًّا وعمليًّا . فالعلوم كلها قبل ان تألّفت وتنظّمت مرّت بالحالة الاولى والثانية ولكنّها لم تنل شأوها وتستتبّ الّا فيا بلغت الحالة الثالثة . فلنأخذ مثلاً الرعد فالاقدمون كانوا اذا سمعوه قصف يعزونهُ لقوّة الآلهة ثم شرحوهُ بالكهربائية واما اليوم فيعلّلون عنهُ بناموس التقاء واحتكاك غيمتين مختلفتي الكهرباء كما دلّت التجربة وثبت بالامتحان فيظهر اذن من ذلك ان الحالة الاكيدة والمعوّل عليها عليًّا هي الحالة الثالثة او الحالة الوضعيّة التي استقرّ عندها العقل »

لسنا ننكر ما بهذا الناموس من صائب النظر والمهارة في شرح ما تولّى من تاريخ العلوم وحقيقيّ ايضاً كون العلوم الطبيعيّة لم تتكامل هيئتها الّا لمّا استقلّت بذاتها انّما اذا كان هذا الاستقلال علّمنا مآخذ جديدة وافادنا انساقاً للبحث والتنقيب لم تكن من قبل معروفة لا نرى انهُ يلغي النسق القديم ومباحثهُ الجاوبة على مطاليب لنا حقيقيّة واما العلوم الوضعيّة او الطبيعيّة فانها تجيب على سؤال واحد من الاسئلة الكثيرة التي يطرحها العقل اي على كيفية حلول الحادث فقط اما على علّة حلوله فلا تقول شيئاً ولكن معرفة العلّة والغاية تهمّ كثيرًا العقل وطالما لا يكشف لهُ عنها فهو معذّب . اذن ما الحالة اللاهوتيّة وحالة ما فوق الطبيعة الّا حالتان ملازمتان للعقل والجواب عليهما يقتضي تأليف علمين حقيقيّين مستندين على مطاليب العقل البشري . وهكذا هذا الناموس المسمّى بناموس الحالات الثلاث ليس الّا شرطاً لتقرير وتأليف العلوم الطبيعيّة والوضعيّة ولا حجّة لنفي العلوم الاخرى علوم ما وراء الطبيعة . ان العلوم الوضعيّة ذاتها تعلّمنا ان نتوصّل بما هو عرضي الى ما هو جوهري ومن النسبي الى المطلق ومن المعاول الى العلّة . وعلى مثال فلسفة ما فوق الطبيعة فانّها تبحث عن المجرّدات . وبما ترى اما اللون والمدى

بتجريدات نظريّة وعقليّة ومع ذلك فالهندسة وعلم النظر يبحثان عنهما وهما من مواضيعهما . غير اننا لا نكتفي بالردّ على مبدإ الوضعيين بل قصدنا ان نسبتهم في آرائهم ومزاعمهم الاجتماعيّة والخلقيّة ونبيّن فسادها وضعف اسنادها ونديّنهم اذا امكننا من فهم

قاعدة الآداب عند الوضعيين ومبادئهم

يقول الوضعيون انّ قاعدة الآداب التي عليها يجب ان يكون مدار افعالنا هو خير الهيئة الاجتماعية او الخير العام . قال احدهم : « ان الهيئة الاجتماعيّة هي مركب عظيم وكما ان خير كل المركب هو الباعث لكل ما تحدثهُ اجزاؤهُ من الحركات كذلك ان الباعث لافعال كل فرد من البشر يجب ان يكون خير الهيئة الاجتماعية »

وعليهِ من مطابقة افعالنا او مخالفتها للخير العام نحكم بصلاحها او شرها وقد صرّح بذلك احد مشاهيرهم قائلاً : « ان مسألة الاطلاع على فعل عضوٍ ما بجمعيّة فيما اذا كان مسعفاً على سعادة القوم ام لا هي مسألة طبيعيّة ومن نطاق العلم . فاذا ما دلّنا الامتحان والملاحظة على ان السرقة مثلاً او القتل او الزنا . لا تمسّ بشيء سعادة الجمعيّة فنقدر ان نجزم عندئذٍ من غير التفات الى ما يقولهُ علم آخر او مذهب آخر بكون هذه الامور ليست منافية للآداب الاجتماعية . فمن ثمّ كانت السعادة اي الغاية الاخيرة لكل فعلٍ ادبي والتي بدونها لا قيمة للحياة نتيجة الاجتهاد والاعتناء على جعل افعالنا ان تكون دائماً مطابقة للقاعدة المذكورة » وهذا ينتج ايضاً من قول هكسلي : « ان الانسانيّة السعيدة تماماً هي تلك التي بلغت قوى افرادها لتلك الدرجة من التقدّم والارتقاء بان اصبحت كافية وقديرة على كبح كل الاميال المضرّة بالخير العام خير البشريّة » . فاذن علم الآداب والاخلاق الحقيقي هو العلم الكاشف عن الحوادث والافعال الاجتماعيّة والخلقيّة وهو يقوم بمجموع نواميس وشرائع ادبيّة ناهية عن افعال وآمرة بافعال ادبية او غير ادبية تصلح للاستحصال على خير اللفيف الذي بهِ نوال السعادة وتوابها (لها بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Louis Laloy, DOCTEUR ÈS LETTRES. Aristoxène de Tarente et la musique de l'Antiquité. Paris. Société française d'imprimerie et de librairie, 15, rue de Cluny. 1904

فنّ الموسيقى عند الاقدمين

حسبنا الآن بعض اسطر تلخيصاً لحياة اريستاكسين فانهُ ولد في مدينة تارنتة وقضى معظم ايامهِ في البلاد اليونانيَّة على عهد الاسكندر. وبعدما استقرَّت رحالهُ زمناً في مانتينة احدى مدن اقليم اركادية تتلمذ لارسطو وحدَّثتهُ النفس ان يكون لهُ خلفاً فأُقيم استاذاً لفن الموسيقى. ولاريستاكسين منزلة عظيمة في تاريخ الفنون اليونانيَّة فانهُ وضع ٤٥٣ كتاباً واكسبتهُ تآليفهُ في فن الموسيقى والجائهُ في اتساق الاصوات ووزن الايقاع شهرة طائرة وحملت الرواة على تلقيبهِ بالمُطرب. ولو لم يكن المسيو لالوا (Laloy) كلَّف نفسهُ الاعناء ترجمةٍ جديدةٍ وفحصٍ مدقَّق لكتب اريستاكسين لكان جديرًا ان نقرَّ له بالاحسان لان كل نبذة في مباحث تختص بفن الموسيقى القديم يعدّها العلماء تحفةً نفيسةً. اما هو فانَّهُ بلغ حيث لا تبلغ الآمال فامعن النظر في تآليف اريستاكسين وعرض فيها رأيهُ بكل علم ومهارة ودقَّة انتقاد واعطاها ما تستحقهُ من المنزلة واضاف على ما سبق عدة فصول في القائلين بمذهب فيثاغورس وفي مدارس الموسيقى وفي حياة ارسطو وتعاليمهِ وبذلك اظهر خطارة اعمال اريستاكسين وما كان لهذا الرجل من اليد في تغيير الموسيقى اليونانيَّة وختم الكتاب بفصل في الايقاع وملحق ومعجم للكلام الذي استعملهُ اريستاكسين في مؤلَّفاتهِ. ولا خوف من الاقرار انهُ لم تزل الى الآن بعض المسائل المتعلقة بالموسيقى غامضةً علينا لان كُتب اريستاكسين وان كانت في ذاتها ثمينة فانَّها لا تكشف القناع عن كل مشكل وما هي احياناً إلَّا حواشي علَّقها المؤلف ليلقيها على تلامذته. ومع هذا كلهِ فان كتاب المسيو لالوا جمع كثيرًا من الفوائد والمحاسن نذكر منها منهجهُ العلمي وانشاءه المنسجم وانتقاده المدقق. فوالحالة هذه ان من يتصفحهُ بفكرٍ ثاقب وعين يقظى يتوغَّل في معرفة فن الموسيقى القديم ويفهم شيئاً من كنههِ مهما كان مناقضاً لفن الموسيقى الرائج في ايامنا

Mariano Gaspar Remiro. = Historia de Murcia musulmana Zaragoza, Andréo Uriarte, 1905. in-8°, XII. 338 pp.

تاريخ مدينة مُرسية

هو كتاب نفيس فاز بجائزة وضعها محفل علماء التاريخ في اسبانية لأوفى تأليف مدارهُ على مدينة مُرسية في عهد الاسلام فحسبنا ذلك بيّنةً لخطارتهِ . امّا مؤلّفهُ المسيو ريميرو استاذ اللغة العربية في كليَّة غرناطة فانهُ استعان بما تحتوي عليهِ مكاتب اسبانية من المخطوطات العربية فاماط القناع عن تاريخ بلاد كنّا نجهل معظم حوادثها وقوّم خطأ المؤرّخين الاقدمين في امور شتّى . ويبتدئ الكتاب بفتح عبد العزيز بن موسى لاقليم مُرسية وانتصارهِ على الأمير تاوداميرو وامرهِ ان يحافظ المغلوبون على اعانهم واموالهم اجلالًا لبسالة تاوداميرو . وبعد ذلك ببضع سنوات بنى عبد الرحمن مدينة مُرسية ودعاها « تدمر » ذكرًا لتدمر سورية لكنَّ الاهلين سمّوها مُرسية وهو اسم المكان الذي بُنيت فيهِ . وكان القوّاد والملوك يتنازعون اقليم مُرسية لخصبهِ وغناهُ وطيب مناخهِ فتعاقبت في الاستيلاء عليه امراء بلنسية واشبيلية وغيرهم . وفي سنة ١٢٦٦ استرجعهُ يعقوب ملك اراغون . وكتاب المسيو ريميرو لا يخبرنا فقط عن وقائع وتقلّبات متعددة جرت في تلك الاصقاع بل انهُ يُطلعنا ايضًا على حياة واعمال الشعراء والمؤرخين والفلاسفة في ذلك العصر . ومن بعض قصص وحكايات يرويها تُباح لنا اسرار المعيشة عندئذٍ . فهو اذًا كتاب يلذّ للمطالع ويفقّه العقل لكنّنا نأخذ عليهِ بعض هفوات فان المفردات العربية فيهِ اصبحت مبهمة فلو نهج حضرة مؤلّفهِ منهج المستشرقين في نقل الالفاظ العربيّة او وضع لنسخهِ لها قاعدةً يرجع اليها لكان وفّر على المطالع العناء واحرز لكتابهِ كمالًا اوفر

م . كولنجت

Comte Couret. Notice historique sur l'Ordre du S[t] Sépulcre de Jérusalem. depuis son origine jusqu'à nos jours, 1099-1905. — Paris. Au bureau des œuvres d'Orient, in-8; 520 pages

تاريخ جمعيَّة فرسان القبر المقدَّس

هو اوفى تاريخ وُضع لهذه الجمعيَّة نظمّ اقسامها وتفريعاتها واخبر عمّا حدث لها منذ نشأت الى ايامنا هذه لكنَّ مؤلفهُ بالغ في ايراد الحوادث واكثر من الاستطراد.

في الكلام على امور لا علاقة لها مع الموضوع . ولقد اعرب عن كبير صبر في انتقاء مواد كتابه لانهُ تصفح عددًا عديدًا من التآليف المختلفة غير انهُ لم يتمكَّن من قراءة كتب الشرقيين إلَّا ما كان منها منقولًا الى اللغات الاجنبيَّة وكان بوسعهِ ان يقتبس فوائد جمَّة من مصنفات المرحوم رُهريخت (Rœhricht) في الشرق اللاتيني . وقولنا هذا لا يصدّنا عن الاقرار باننا حظينا الان على تاريخ كامل لجمعيَّة فرسان القبر المقدَّس وُضع بذوق ودقَّة واوشك ان يكون مستوفي الشروط في كل ابوابهِ ه . لامنس

K. Bædeker. Palestine et Syrie avec les routes principales à travers la Mésopotamie et la Babylonie. 3e édition. 1906

دليل سورية لبدكر

تصفَّحنا الطبعة الثالثة الفرنسيَّة لدليل بدكر فالفيناها منقولةً عن الطبعة السادسة الالمانيَّة (١٩٠٤) مع اختلاف جزئيّ في النص والرسوم الجغرافيَّة وغيرها فخارطة فلسطين الجنوبي هي في هذه الطبعة اكبر منها في الطبعة الالمانيَّة وخارطة اسية الصغرى وبين النهرين اكبر ايضًا واوضح ولقد نظرنا بعين السرور ان هذا الدليل يحتوي على الرسوم التي وضعها برونوف (Brünnow) لجهات بترا وجنوبي بحيرة لوط . ولكنهُ اصبح دليل مَن يجوب البلاد طلبًا لترويح البال لا طلبًا للعلوم ولذا لا يشير الى الطرق التي تُحدث للمسافر ادنى تعب فلم يبقَ مثلًا لطريق الشام القديمة إلَّا رسم في الخارطة فوالحالة هذه لا يظنّ المطالع أن ثمَّ تعايض ابنية وخرائب عريقة بالقدم في عين جار وبجدل عين جار ولا يجد كلمةً على مدينة اريتوزة (Aréthuse) القائمة بين حمص وحماة وما ذلك إلَّا لأن السكة الحديديَّة لا تمرّ بها . ولهذا السبب اكثر الدليل المذكور من الرسوم الجغرافيَّة للجهات الواقعة بين جنوبي فلسطين وبعلبك ولم يضع رسمًا واحدًا للاصقاع الشماليَّة منذ ربلة . وليس بوسع مَن وقف على هذه الطبعة ان يعترض علينا زاعمًا ان الخارطة المدرَّجة في آخر الكتاب قد تلافت الخلل لانها مختصرة ولا كبير فائدة بامعان النظر فيها فأسفنا لهذا الاهمال سيَّما وان الرسوم المتقنة لهذه الامصار قد وضع معظمها « كيبرت » ولا غرو ان طابع الدليل اطَّلع عليها . وقد وقعت هفوات شتَّى في الرسوم التي يجدها القارئ في متن الكتاب نخصّ منها بالذكر خارطات سوريَّة الوسطى والقسم الجنوبي والشمالي من

لبنان. ثمّ ان كثيرًا من اسامي الاعلام اوشكت ان تكون مبهمة ولا بأس ان نأتي بما يدعم قولنا. انا نقرأ في وجه ٣٥٦ شايف وهارمل وريبلا عوضًا عن شليفا وهرمل وربلة وفي وجه ٣٥٧ تلّ منداو عوضًا عن تلّ النبي مِند او ماند او مندو وفي وجه ٣٥٨ امّ شرشو وغزر عوضًا عن امّ شرشوح وغجر وان سكّان مدينة حمص ٦٠٠٠٠ الفًا مع انهم ١٠٠٠٠٠ بنيف . وخوفًا من الملل نضرب صفحًا عن ايراد امثلة كثيرة في هذا الصدد . فيا حبَّذا لو وقف على طبع هذا الدليـل رجال يحقِّقون الامور ويفرقون بين الصواب والخطإ !

س. ر

شذرات

ثروة غريبة — لو كان وضع رجلٌ ١٠ سنتيمات بفائدة ٥ في المئة في السنة الاولى للمسيح لكانت بلغت هذه القيمة ١٢ فرنكًا في السنة ١٠٠ والفي فرنك في سنة ٢٠٠ ومئتين وستة وثلاثين الفًا وثمانية وخمسة وسبعين على عهد ديوكلسيان الملك (٣٠٠) وكانت اصبحت هذه الثروة عام الاربعمائة ٣١,٥٠٠,٠٠٠ وكانت زادت على التسعة مليارات على عهد شارلمان (٨٠٠) حتى انها كانت بلغت سنة ١٨٩٦:

٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٣٠/١/٣٨٤

معجم المحفل العلمي في فرنسة — تأسس في فرنسة منذ اجيال محفل علميّ اخذ على نفسهِ النظر في لغة البلاد واصلاح خللها وضبط مفرداتها واعضاء هذا المحفل اربعون من الكتبة المبرزين . فمن مآثرهم معجم وضعوهُ في اللغة الافرنسية وجدّدوا طبعهُ وتنقيحهُ مرارًا الّا انهم منـذ ١٨٧٧ بدأوا بطبعتهِ الثامنة والى الآن لم ينجزوا منهُ الحرف الثالث من حروف الهجاء. لكنَّهم وعدوا ان يقفلوا باب هذا الحرف في اثناء سنة ١٩٠٨ . فاذا استمرّ اعضاء المحفل على هذا النشاط والهمّة استغرقت مراجعة معجمهم نحو ٢٥٠ سنة

نَعام اميركة — هو طائر عجيب اتى بهِ من اميركة المسيو ديبرايل الافرنسي (Dubreuil) وقصدَ تكثيرهُ في اروبَّة وتعويدهُ على هوائها لان من ورائهِ

منافع جثة . فان بيضتهُ تزن ٦٨٥ غراماً وتبلغ طولاً ٣٦ سنتيمتراً وهي تعادل بالاقل ١٢ بيضة من بيض الدجاج وطعمها لذيذ يقارب طعم البيض المألوف . وتُتخذ ريشهُ فتصنع منهُ البُسط وتتزيَّن بهِ النساء ولذا طالما يُعرَض للبيع في اعظم المخازن. وقد فحص لحمهُ علماء الكيمياء والطبيعيات فحصاً مدققاً فوجدوه مغذياً ولذيذاً كأفخر لحوم الطيور . والطائر المذكور يأكل الحشرات والحبوب والعشب . وفي بعض اقطار اميركة الجنوبية يعيش في الاحراج فيقصدهُ الصيادون ويقتنصون منهُ عدداً وافراً ولربما كان آل ذلك الى استئصاله في تلك الجهات لولا تلافي الحكومة المحلية لهذا الخلل

اسئلة واجوبة

طُرح علينا السؤال الآتي :

س رأيت كثيراً من المسيحيين يحرصون على اكتساب الغفرانات فلستُ اخطئهم لكني لا اعرف جيداً ما هي حقيقة الغفران فارجوكم اولاً ان تفيدوني عنها وتبحثوا ثانياً اذا كانت الكنيسة علّقت غفراناً ما على اشارة الصليب المقدَّس

ج اولاً : الغفران في الكنيسة هو الصفح عن العذاب الزمني الواجب احتمالهُ — ان كان في هذه الحياة او في المطهر — كفَّارةً عن الخطايا التي غُفرت بالتوبة والحلَّة . وهذا الصفح تمنحهُ الكنيسة خارجاً عن سرّ الاعتراف

انهُ لبون عظيم بين ذنب الخطيئة وبين العقاب او العذاب الذي تستوجبهُ الخطيئة . فحسب معتقدنا كل خطيئة تُحدث في النفس امرين الابعاد عن الله واستيجاب العذاب نعم ان هذا الابعاد وهذا الاستيجاب يختلفان حسب اختلاف درجة الخطيئة فبسر الاعتراف يغفر الله لنا ذنب الخطيئة وما استوجبتهُ لنا من العقاب او العذاب الابدي اللهمَّ اذا كانت مميتة لكنَّهُ يبقى عذاب زمنيّ لا بد لنا ان نقاسيهُ في هذه الحياة او في المطهر وهو الذي يمكننا ان نُزيلهُ باكتسابنا للغفارين

ثانياً : ان قداسة البابا بيوس التاسع اصدر براءةً في ٢٨ تموز سنة ١٨٦٣ منح بها غفران ٥٠ يوماً لكل مسيحي يرسم اشارة الصليب بتقىً مع لفظ الكلمات التي تقابلها . وفي ٢٣ آذار سنة ١٨٦٦ منح ايضاً غفران ١٠٠ يوم لكل مَن يرسم اشارة الصليب ويتلو بعبادة الكلمات ذاتها ي . خ